

تصدير

القصة لون من ألوان التعبير ، ومجال يبرز فيه الكاتب ما تفاعل في أعماقه من مشاعر واحاسيس بطريقة فنية ومعاناة إبداع ، هدفه في ذلك الانسان ، وغايته الخير والجمال .

وبقدر ما يكون في خلق هذا اللون من التعبير من انتشاء رוחي وابتهاج نفسي لنتجه ، بقدر ما ينجر له من إرهاب فكري وإجهاد عصبي نتيجة حتمية لعملية التحويل الباطنية عند ما يعهد كاتب القصة إلى « المادة الخام » فيذيبها في مصهر وجدانه ، وإذا هي نور يتوثب وشعلة تتأجج ، وسلسيل يتدفق ، وإذا هي مصدر إمتاع ومنبع التذاذ للقارى ، المستهلك بنسبة الانسجام والتجاوب التى تشمل ذلك القارى ، ونسبة الأيحاء الذى يستشفه من خلال الصورة أو من وراء الكلمة .

ذلك أن سبيل القصة الناجحة - فى عالمنا اليوم - هو البعد بقارئها عن كلاسيكية الرتابة وسداجة التثقيف ، فهل ذلك ما يعنيه « سمرست موم » عند ما جعل إطار القصة الإمتاع والتشويق واللذة ، أو عند ما حدد هدفها فى الإمتاع لا فى التثقيف ؟

لعل معطيات العصر المعاش تجنب أكثر لتقييد هذا الرأى ؛ إذ بقدر ما أحاطت بهذا « العصر » عوامل الانارة والتوسع فى المعرفة ، بقدر ما فرضت تلك المعطيات من تحليل دقيق لمشاكله ، ومن سير عميق لأغواره . وإذا كان ذلك التحليل يختلف طرقه ومجالاته بين الكشف المجرد والحل الجاف ، والعرض البسيط فإن حاجة الانسان أدعى إلى تنويع الحلول والطرق فى سبيل أن يتغلب على تلك المشاكل ، وفى سبيل أن يبلغ إلى الخير والسعادة بطريقة أوقع تمكينا وأشد تأثرا .

إن رأى « موم » لا يكون « رأيا » عند ما يفهم فهما ساجدا أو سطحيا ؛
لأنه إذا جعل هدف القصة الامتناع لا التشقيف فذلك لا يعنى إبعاد القصة عن
هدف التشقيف . إنما هدف ذلك البعد بالقصة عن أن تكون موعظة مكشوفة ،
أو درسا فى فصل ، أو محاضرة فى قاعة ، لأن ذلك يبعدها عن المهمة
الأصلية التى تؤديها، وعن الرسالة المثلّى لاسعاد الانسان بصورة تجمع فكره
وقلبه ، وعقله ووجدانه .

ولهذا كان من الحتمى أن يكون « القاص » ذا ثقافة واسعة مضمومة ، وذا
إطلاع كاف على واقع عصره ومجتمعه فى مختلف ملبساته ومشاكله ومطامحه
حتى يكون أقدر على تأدية الرسالة والوصول إلى الهدف .

إن ميزة القصة – باعتبارها أداة تشقيف – هى أنها تنحو الإيحاء ، وترشد
باللذة ، وتشقى بالامتناع تبعا لكيانها الاسساسى من أنها تعبير فنى عن عملية
تحويل باطنية تهدف إلى خير الانسان وسعادته .

ARCHIVE
« قصص »
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مَحْوَرُ الْمَوَاعِيدِ

بقلم : محمد المختار جنات

« ٠٠ مات أبى ، فأورثنى دارا عتيقة وساعة أعتق منها • ولساعة أبى قصة عجيبة موهلة فى الغرابة ، ولعله يحسن بى أن أرويها لك ، يا ابنى ، قبل أن أسترسل فى رواية ما حَفَ بها من أحداث رهيبة كانت هى محور تعقيدها الخارق ٠٠ »

ونهض أبى فى حركة واعنة تروّح بأعباء شيخوخته ، واتجه بخطى وثيدة الى صندوق خشبى طويل مطروح فى زاوية كان يتخذة خزانة يحفظ فيها ممتلكاته النفيسة • ولقد دفعنى الفضول أن أفضن بدورى وأقف الى جانبه فى خفة ، وألقى نظرة على محتويات صندوقه الأثرى •

اندفعت يد أبى المرتعشة لتفمد مفتاحا ثقيلًا فى ثقب يتوسط الحافة العليا من الصندوق • وبعد أن جمع المفتاح ، وأتم دورته الثانية رفع أبى فى اعياء غطاء الصندوق ، فانطلقت منه رائحة الكافور وانفدت بصرى الى أعماق هذا التابوت المتحفى فرأيت « لحفة » من كشيمير تبنى اللون ، تمتد على طول وعرض الصندوق ، فتحجب ما تحتها من أدبаш لا أدرك كنهها • وراقبت يد أبى عليها ترفع هذه « اللحفة » الحمرية ، فرأيتها تتفادها وتتجه الى الجانب الايمن من الصندوق ، حيث لاحظت بدعشة وجود درج مستطيل أثبتته النجار فى مهارة ليكون مستودعا طريفا يعلو أعماق الصندوق ويتوج زاويتي جانبه الايمن • ورفع أبى غطاء هذا الدرج فلاحته لى فى أحشائه أوراق غليظة باعثة ملفوفة بشكل أسطوانى ومصحف مغلف بحبر أخضر ، وصناديق كرتونية دقيقة يظهر أن بها عطورا عتيقة ، وخرز

متداخلة لمسيحتين او اكثر ذات الوان قاتمة . وجاست يد ابي ببطه بين
اكوام هذه الخزر لتبحث على ما يظهر عن ساعته العتيقة ، وقد سحبت بعد
عناء من البحث المتخبط عدة أعواد دقيقة في حجم اصابع اليد قال انها
مساويك اهداها له بعض اصدقائه من حجيج بيت الله الحرام . ثم عادت
يده لتتعثر بين علب حديدية صغيرة مجهولة المحتوى . وهمدت قليلا لتتحسس
- على ما اظن - طرف سلسلة ساعته . وحين التقطت الاصابع طرف هذه
السلسلة سحبتها في رفق ، فخشخت أوراق ، وأزت صناديق . ثم مرقت
من وسط الدرج ساعة فضية ذات قرص مستدير يعلا راحة اليد . كانت
واجهتها البلورية خامة تحت غشاء من غبار او ضباب رقيق ، وقد بدت تحته
ارقام رومانية غليظة سوداء همدت احدها عقربان دقيقتان . وتدلّت الساعة
قليلا بين اصابع ابي في حين امتدت كفه الثانية لتطبق عليها . وما ان استقرت
في راحته حتى رايت الدهشة تعصف بوجهه . وبحركة خاطفة لا تكاد تصدق
قرب ابي الساعة من اذنه وقد علت وجهه رجفة من التطير او الحزن القاتل .
ومزني ما بدا على جبين ابي من ضيق هو فور فاقتربت منه قائلا :

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ما الامر يا ابي ؟

فاستدار نحوى في انفعال ، وكان سؤاله يقطعه من غيبوبة هواجسه ، ورفع
حاجبيه في ذهول حاسر ، واجابني في نبرات مجروحة ، وهو يدفع بالساعة
نحو اذني :

- أسمع ؟ انها تدق !!

واصفيت اليها ، وقد انتقلت لي دهشته . يا للغرابة ! لقد كانت تدق
دقات رتيبة ومنظمة . وجال في ذهني بسرعة أنه من الممكن أن ابي قد
أودع ساعته الصندوق بعد أن كفت عن العمل . ولا ريب في أنه كان قد
عبأها ذات يوم حتى غصت دراليبها وتوقفت عن السير . ولما يش من
صلاحها حجزها في هذا الدرج العتيق . . . وفتحت فمي ، وعبرت لأبي عما
جال بخاطري ، وشققت رأبي بتعلييل بدا لي أنه منطقي جدا ، حين أضفت
قائلا :

- ولما التقتطتها الان في اندفاع عنيف نوعا ما ، وشقت طريقها بين محتويات الدرج تحركت دواليبها تحت ضغط الارتجاج ، فانطلق « رقاصها » وتحرر من كابوس شريط التعبئة ، وعادت الساعة الى مواصلة دقائقها .

كان أبى يصغى الى في قلة اكرثات يبدو عليها نفاذ الصبر . واخيرا صاح بى ، وكأنه يدعو الى الكف عن اظهار تحمسى لهذا الافتراض المزعوم .
- ذاك ما توهمته قبلك حين توقفت مرارا وعادت فجأة الى العمل .

وراح يذرع ارض الغرفة فى اغتنام اليتم ، وأنا اراقبه فى خيفة وتوجس وحيرة . وكأنه انتبه اخيرا لوجودى بجانبه ، فتوقف عن اسقاط خطاه الذاهلة ، ودفع بالساعة الى اذنه من جديد ، واصغى اليها هنيهة وهو ينعم النظر فى عيني . ثم عاد الى اقتعاد مكانه من الجلد المطروح فوق دكة غرفته ، فدنوت منه وعدت يدورى للجلوس فى وضع جانبى على حافة الدكة . ومضت فترة صمت ثقيلة انهاها أبى بحقولة آسية . ثم فتش قمسه ، وأخذ يقص على رواية ما حف بهذه الساعة من أحداث رهيبية كانت محور تعقيدها الحارق :

- قلت لك يا أبنى ان الساعه كانت تكتنفها غوامض مذهلة ، وقد كانت الى زمن سحيق تلتف انتباهى الى وقوفها وانطلاقها المفاجئين . وكنت فى كل ظاهرة أقف فيها على سكوت او انطلاق دقائقها ابانغت بنكبة تغير مجرى حياتى او تبدل من وضع أسرته وسلامة بلادى . وقيل أن أروى لك هذه الظواهر المذهلة يحسن بى أن أقص عليك اولا كيفية وجود هذه الساعة فى حوزتى .

وسكت أبى . . . وسكت ، وكأنه ينبش هذه المرة صندرق ذاكرته العتيق فى حين شردت نظراتى وراء شعاع سقط من كوة محنورة فى أعلى جدار الغرفة . لقد بدت لى قصة الساعة الغامضة ، وشيخوخة أبى ، وصندوقه المتحفى العتيق وهذه الدكة التى اقتعدها ببدلتى الافرنجية فى هيئة تجنب سروالى تجعيد كوائه أمرا مثيرا لمفارقات كابية . فهل يعنى هذا أن الزمن يستبد بى ليرث ذكريات أبى ويمتلكها عنوة ؟ ان ما يحدث الان لذكريات أبى سيظل موضع نزاع بينى وبين الزمن . . . فهل استطيع أنا امتلاك هذه الذكريات ؟ ام ترى سيسلبها منى الزمن ليضمها الى ممتلكاتها الاثيرة ؟ من البديهى أننى

سأعتمد حين أرث هذه الذكريات (التي هي حق لي) الى تطويرها او ازالة ما يكتنفها من غموض ، في حين ان الزمن وهو ينازعنى الان امتلاكها) سيعتمد حين يرثها الى ابقائها تماما كما كانت ، وسيحفظها من اى تعديل او تغيير . . .
وتساءلت بينى وبين نفسى فى مرارة : من منا الاحق بامتلاك هذه الذكريات ؟
ومن منا الاجدر بوراثتها ؟ وانحطت عينى على ساعة أبى . كان يمسكها فى وضع ما زال يجسم تطيره وانذهاله ، وكان يبدو عليه الان انه انتهى من ترتيب أفكاره وانه بسبيل ارسالها من مخزون أعماقه . . . وفلا فقد اخذت اصغى اليه ، وكان يحدثنى بلهجة آسية وبطيئة :

– اشترى جدك هذه الساعة من رجل عاد بها من ساحة الوغى إبان اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وقد كلفته فى ذلك العهد – كما روى لى ذلك بنفسه – خمسة (دورو) فضية . . . وأنت تذكر اننا كنا ندعو قطعة الحمس فرنكات بالدورو . وقد لاحظت وجود هذه الساعة فى حوزة أبى أيام كنت شابا . وما زلت أذكر كيف كان جدك يثبتها فى جيب صدرته باعتزاز وفخر ، وكان مولعا بها – رحمه الله – الى درجة الهوس . . . وكانت الساعة فى أيامنا تلك تعتبر تحفة نادرة قل من يملكها فى حوزته . ويكفى ان أقول لك : ان مؤدبنا كان يؤقت لسكان حومتنا بإذانه الاجش وفق أسلوب بدائي عتيق . ورغم ذلك فان سكان حومتنا يعتمدون اذانه فى التوقيت لقضاء مآربهم ، فتراهم يتواعدون على قضاء حاجياتهم وفق تسلسل الاذان للصلوات . فتسمع أحدهم يواعد صاحبه على اللقاء به بعد صلاة العصر ، او مقابلته فى السوق قبل صلاة المغرب . ولقد سمع مؤدبنا بخبر امتلاك أبى للساعة ، فلم يتأثر كثيرا لهذا النبأ الذى اهتز له سكان الحومة ، وواصل ضبط اذانه بطريقته المألوفة . فكان يؤذن للفجر حالما يفرغ القمع الذى يملؤه بالزمل ويدعه ينساب طيلة الليل فوق ضريح الولي المدفون فى مقصورة كتابنا . ويؤذن لصلاة العصر بعد أن يقيس بأقدامه ظله اذا كانت الشمس مشرقة . اما اذا غابت الشمس وراء غيمات من سحب ثقيل ، فانه كان يفضل الالتجاء الى اعمال حدسه عن ارسال أحدنا الى مكتب البريد لكي يستوضح له الوقت . ورغم ان مكتب البريد كان يقع الى جوار حومتنا فان أبى ظل هو الآخر لا يعتقد باعتماد توقيته مساندا رأى مؤدبنا القائل بان توقيت الكافر لا يجوز الاعتماد عليه فى الاذان لصلاة المسلمين ! ويجدر بى أن أخبرك بأن ادارة البريد وقتها كانت

عبارة عن مكتب ضيق يصرف أمور البريد فيها رجل فرنسي خشن الجنة ، ذو عنق غليظ محمر ، ووجه مجدور ، وعينين متاكلتي الاجفان ترتفع فوقهما باطراد حركات قوسية لحاجيين أشقرين ، مما ضاعف في تجنب سكان مدينتنا لهذا الرجل ، واثار - الى جانب خوفهم من كل فرنسي - اشمئزازهم من هذا لكافر القبيح المنظر .

وتنهدي والدي ، وكأنه يسترد لهاث أنفاسه ، وأضاف في شبه ارتياح :

- والواقع ، انه حدث ذات يوم ما أجبر مؤدبنا على اعتماد توقيت هذه الساعة التي كانت لجذك . فقد بوغت مؤدبنا ، رحمه الله ، بزيارة سيدنا الشيخ « العربي » الذي تلقى مؤدبنا على يديه القرآن الكريم . ولما حانت صلاة العصر وكان النهار غائما استفسره سيدنا الشيخ عن التوقيت ، فلجأ مؤدبنا كعادته الى اعمال حدسة ، فضايق صبي سيدنا ورفع في وجهه صوته الرفيع ، فارتعد مؤدبنا واستقرت نظراته على وجهي وأمرني في اذعان - وقد اشرابت نحوي أعناق التلاميذ - بأن اذهب الى والدي لاستفسره عن التوقيت فانطلقت راكضا ، فالتقيت جذك يقع كعادته مع بعض الشيوخ على ناصية الحومة . فلما أعلمته بسؤال مؤدبنا رفع رأسه في فخر واعتزاز وأخرج هذه الساعة في أبهة سامقة ، وأعلمني بالتوقيت في ضبط دقيق . وسر جذك بهذا الحدث العرضي ، وأخذ يشيع في اليوم نفسه وطيلة أيام أخرى أن المؤدب أقام الاذان على توقيت ساعته . ولم يكابر مؤدبنا ، ولم يواصل اظهار استهائه بساعة والدي ، بل أخذ - فيما يتلو من أيام غائمة - يستفسر أبي عن التوقيت بواسطتي أو بواسطة أحد الصبيان حين أن انفصالي عن كتابه والتحاقي بمتجر سى جلول .

وصمت أبي مجددا ريثما مسح براحته على ذقنه ، ثم غرر للحظة خاطفة عينيه في كفه التي تؤرجح الساعة العتيقة في رفق . ثم واصل سرد ذكرياته ، وقد ذهلت نظراته عن وجودي .

- التحقت للعمل بمتجر سى جلول تحت وطأة عجز جذك نهائيا عن العمل في الحقول . لقد كنا في ذلك العهد فقراء . وكان جذك لا يملك الا هذه الدار العتيقة او هذه الساعة الزامضة . وكان علي أن أعوله هو وأمي بالاضافة

الى عميتك اللتين كانتا وقتها في شرح الشباب .. ولم تخل أيام عملى فى المتجر من منغصات ، بيد انى كنت أواجهها بصدر رحب ، وأحمدى فى مهدى ، اذ كانت لسى جلوس نزوات حادة ومزاج سوداوى مالح ، غير انه ، رحمه الله ، كان طيب القلب معى لا يكن لى الا الخير والمودة . ولقد صلح امرى معه الى درجة أنه زوجنى ابنته وأشركنى فى تجارتة . وقد آل لى - بعد أن ضمه الله تعالى الى جواره - كل ما تركه وراءه من متاع الدنيا . أنا لا أريد يا أبنى ، ان أستفيض فى حديثى عن جدك الثانى ، فقد أخبرتك عن أمره الكثير ، غير انه لابد لى من الاشارة الى تفاصيل بعض الاحداث التى تركز وراءها محور حياتى ، حتى تتسنى لى رواية ما استطاعت هذه الساعة اكتناهاه على شكل وقوف دقائقها المفاجيء واستثناها لسيرها المبالغت من جديد .

وعاد للصمت هنيهة ، وانحطت عيناه هذه المرة على وجهى ، وأضاف :
 - كانت اول مرة تتوقف فيها هذه الساعة عن مواصلة دقائقها قد أدركها جدك الاول بنفسه ، فقد عدت يوماً من متجر سى جلوس فى هيئة ساخطة فوجدت جدك يتجده بخطاه الوئيدة نحو الجامع لىؤدى صلاة المغرب ، فاستوقفتنى لما رأى ملامح الضيق الشديد تعترض وجهى ، وأخذ يستوضحنى جليلة امرى ، فأخبرته فى انفعال أليم أن سى جلوس أخذنى هذا اليوم من جديد على سرقة صدار قطنى من واجهة المحل . لقد كان اليوم يوم سوق أسبوعى ، وفيه يشتد زحام الزبائن من سكان المدينة والبدو النازحين من كل فج عميق . وكان من الصعب جدا ان يمضى اليوم بدون مغالطة فى الدفع او سرقة شيء نفيس من معروضات المتجر التى يصير سى جلوس على تعليقها فى واجهة المحل حتى كانت فى متناول أبناء الحرام . وتشاء الصدفة اللعينة أن نتواصى يوماً قبل أن تشتد حركة البيع والشراء ، على ضرورة بقاء أحدها - أنا او هو - مواجها للزبائن طيلة انصراف الثانى بظهره لقضاء الحاجيات المطلوبة . وقد لجأنا لاحكام هذه الخطة بعد أن اعيانا الخصام مساء كل يوم تنتهى فيه زحمة السوق الاسبوعى . ولست أدري متى وقعت يومها سرقة الصدار : أحال انصراف سى جلوس بظهره عن واجهة المحل ، أم حال انشغالى أنا بقضاء احدى الطلبات ؟ وتأثر جدك لموقف سى جلوس ولعاملته اياى بفظاظة وقسوة ، خاصة بعد أن أنهيت اليه ما جابهنى به من تهديد بالطرده وتقريع عنيف ، وخصم لاجرتى عن عمل ذلك اليوم . وقال لى

جداك ،، رحمه الله ،، فى أسى قانط : « أنا المسؤول عن تأمين مستقبلك ..
فلو أنى ادخرت فى أيام الرخاء ما يكفل لك ايجاد رأسمال لفتح متجر محترم
لما لحقت اذلال على يد سى جلول هذا » وحرك رأسه فى غضب ، وأضاف :
« لست أدري هل تنفك هذه الساعة فى توفير بعض رأس المال ، أم أن
ثمنها وحدها لا يكفى ، وعلينا وقتها اللجوء لبيع الدار ؟ »

لقد كان عرض أبى وقتها يعتبر ضربا من الهلوسة التى يقع فى برائتها
الشميوخ الطاعنون فى السن . فلم يكن من الملائم لطموحى أن أحرمه من
ساعته التى يعتز بها كثيرا ، أو أن الجأ الى تشريد أسرته وليس لها من
ماوى غير هذه الدار التى أصبحت اليوم عتيقة فانية . ولما ثقل صمته على
جداك لغفل يده فى جيب صدرته وأخرج ساعته . وفجأة رأيت رجفة البغلة تعصف
بوجهه والدعشة تعصر محياه .. لقد كان عقربا الساعة جامدتين ، وعال
جداك الامر فرفعها الى أذنه وأصغى اليها وإذا هى صامته باردة . وعمدت - مثلك
الان - الى تهديئة مخاوفه فقلت له : « أظنك سهوت ، يا والسدى ، عن
تعبثتها .. » فظل يحدث فيها بذهول ، وكأنه لا يسمعونى . ثم رفع عينيه
عنها ، وأجابنى بسرعة : « لا .. لقد كنت اغشىا قبل أن أنهض للوضوء لهذه
الصلاة .. » وأدرك أبى الاذان فانصرف للجامع : ولم انتظر رجوعه طويلا ،
فقد خف الينا المصلون وكانوا يحملون جثته الهامدة بين أيديهم .

واستل أبى زفرة كاوية ، واستطرد قائلا :

- واريننا جداك التراب ورجعنا ننفض أيدينا من قبره . ومر يوم أو بعض
يوم - لست أدرك بالضبط - اذا بأمى او احدى عميتك تدفع بالساعة الى
راحتى فاستلتهما فى فورة من ألم الذكرى ، واذا بى أباعنت بانتظام دقاتها
الرتيبة .

واستدار ليرى ما انطبع على وجهى ، ثم استأنف القول فى لهجة ارعشها
نبش ذكرياته الحزينة :

- ومرت أيام اكتسبت فيها ثقة جداك سى جلول ، فخطبت اليه ابنته .
وقبل أن ادخل عليها كانت عمتك الكبرى قد زفت الى بعلها . وتوالت صروف
الدهر واذا بسى جاول يقعده المرض عن المتجر . وقد عدته فى أول يوم

تغيب فيه عن العمل فادنانى من فراشه وأوصانى خيرا بزوجته ، فطيبت خاطره ، وجهدت الى نزع تطيره ثم توليت عنه حزينا قانطا ، وأخذت فيما توالى من أيام أعوده وأطيب خاطره .

وذات ليلة آويت الى فراشى كئيبا ففطنت والدتك لامرى وهزتها الحيرة نحو سلامة والدها ، فطمنتها بعد جهد وأخذنا الى النوم . ولم نفرق بعد فى حلاوة النعاس واذا بوالدتك تنهض مرتعبة وتهزنى من كفى ، فأهب مذعورا وأسائلها الخبر ، فتنسج باكية وهى تردد أن أباهما مات . وكانت عمك الصغرى قد تزوجت ولم يبق فى المنزل الا أنا أو أنت - وقد كنت رضيعا - وأمى - وهى تنام وحيدة فى غرفتها . وهالنى سكون المنزل . فمن أنبا أمك بموت أبيها ؟ وطار النعاس عن عيني وأخذت استفسرها فى لطف ، فأخبرتني بأنها رأت طيف والدى يحقق اليها فى الظلام بعينين كامدتين ويخبرها بموت أبيها .

كان عل أن أبدد أضغاث أحلامها . وفجأة امتدت يدي الى الساعة لاستوضحها الوقت واذا هى خامدة هائمة . ففزعت الى زر تعبثها واذا هو ثقيل مما ينبئ باننى عبرتها . وقلبتها فى كفى ، ورجعتها عليها تستيقظ وتستأنف دقا . ولكن لم تكن بها حياة البتة . وتطيرت وفزعت الى ارتداء ثيابى ، وخرجت فى هزيع الليل الى دار جدك فما بلغته حتى سمعت نواحا يمزق الأكباد .

مرت دقائق ثقيلة كاد يخلد فيها أبى - تحت مرارة حزنه - الى خمود جامد . وفجأة ارتعش كالمندوغ وهو يراقب عقرب الساعة التى تدق بانتظام ، وعاد الى حكاية ما حف بهذه الساعة من احداث كانت محور تعقيدها الحارق :

- من البديهي أننى لم ألثف من يومها الى هذه الساعة المشؤومة ، وطرحتها فى صندوقى هذا ، ولم أدر كيف امتدت لها يدى ذات يوم بعد مرور سنوات على موت جدك فوجدتها ما تزال صامئة باردة ، فأخذت أقنع نفسى بانها سكنت الى الابد منذ تلك الليلة العاصفة ، وأن سكوتها هذه المرة كان نتيجة عطل حقيقى . وكى أقنع نفسى بهذا الاكتشاف المريع قلبتها بين كفى ، ورجعتها ، وأدرت زرتعبثتها فلم تحرك ساكنا . وناولشتنى الوسواس

أزاء سكوتها الطويل المعقد ، ولم أجد له تعليلا فى مجال تطيرى او افتراضات تخمينى . ورغم اننى ارى انى لسكونها الذى يعتق احدث حياتى من وقفات الزمن وانطلاقه المفاجئ . فانى صممت على أخذها الى عجوز يهودى يشتغل باصلاح الساعات .

استدار الوميض القاصف فى حدقتى أبى ، ونقصت زجايد وجهه جلال القوة ، وغدا صوته عميقا كأنما يمزق ستائر الكشف :

- اكننت وقتها مدفوعا ، يا ولدى ، الى عتق رتابة ايامى وتعريضها لازمات الزمن ؟ أم اننى استسغنت أخيرا لعبة اقتناصى لمواعيد النكبة عن طريق ترصدي لدقات هذه الساعة ؟ كل ما أعلمه أن مشاعرى تنقصها التهيئة المسبقة لانتظار الباعثة ، وان ملاعبتى السرية للزمن أصبحت تطرح على ضرورة قبول الانتباه لمواعيد النكبة . لقد غمرنى الحاح شبه لذيذ لمواصلة التجربة . وبدا لى ، وقتها اننى لم أكن مرتاحا نفسيا لفراغ حياتى من الترصّد اللامجدى لمواعيد النكبة التى ستخطرني بها دقائق الساعة . وأحسست بالاضافة الى ذلك اننى لم أكن راغبا فى اطلاق دقائق الساعة لمجرد اننى محتاج لمعرفة التوقيت الزمنى ، بقدر ما كنت راغبا ومتطلعا فى شوق لمراقبة توقيتها للنكبة التى قد تفاجئنى بها الايام ، لقد روضتني التجارب الماضية على قبول جدوى سرية هذه اللعبة الغامضة ، وأصبحت أعتقد بكل شدة اننى اذا واصلت ممارستى للعبة التحسس الزمنى ، فانى أجسم حالة شاذة لطبيب مريض يرغب فى الانتباه لازمات اوجاعه ليكتنه فقد مواعيد سطواتها المؤلمة .. لا .. لم يكن هذا الطبيب المريض راغبا فى مجابهة اعراض علته ، لانه أدرك سلفا عجزه عن قهرها . وانما كان مدفوعا لترصد سطواتها ليكتنه - كما قلت لك - مواعيدها ، وليمتلك قوة السيطرة على الانتباه لها والاستعداد لتحمل اوجاعها المميته .. وفعلا فقد غدت رغبتى فى مراقبة دقائق الساعة خاضعة لنبضات أعصابى . وأصبح تحملى لمناجات الزمن خاضعا لقبول الانتباه لها فى ترصد لا يجدى . وبهذا المنطق ، يا ولدى ، أقنعت نفسى ووطدتها على قبول الرضى ، وعلى الاستسلام للانهيار من خلال مناعتى .. اكان ذلك غاية فى الشجاعة المؤدية الى الخوف ؟ أم هو لون من الاستهانة الباعثة على التقدير ؟ انه لا يجدر بى ، يا أبنى ، أن

أجهل المعرفة ، وأن أرفض المفروض ! لا • لن أترك الأحداث التي أستطيع مراقبتها مفاجأتني على حين غفلة • لا • لا • سأنتهى للغفلة ، واحيا للعدم •

عند هذا الحد من التفكير تساءلت في مرارة : لماذا أذن أترك ساعتى واقفة ؟ أنا أخشى توقيتها للنكبة ؟ أم أخشى مباغطة النكبة لى ؟ وصممت يا ابنى ، على اطلاق الشجاعة من قيود الخشية ، وفضلت ان ارسل من نوافذ دقات هذه الساعة نظرة باردة ومتحفزة لما سيقع لى غدا او بعده • ساضبط موعد النكبة ، وسأتيح للزمن فرصة تهينى لها أو ضرب موعد لى معها •

وهكذا وقفت بساعتى صباح ذلك اليوم امام العجوز اليهودى ، ولما دفعتها له واستقرت فى راحته تحس ثقلها ، ثم صوب نحوها مجهره • ثم ازاحه عن عينه اليمنى ليقول لى فى رنة أعجاب :

— لقد صنعت فى سويسرا • وهى تعتبر فى هذا اليوم أثرية ونفيسة •

واطبّق عليها كفه القنينة ، وأضاف :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— أتريد بيعها ؟

فاجبته فى ضيق :

— لا • ولكنها ظلت صامدة منذ سنوات ، وأريد منك فحصها واصلاحها ان أمكن •

ففغرفاه دهشة • وأنعم النظر فيها ثم رفعها الى أذنه ، وقال لى فى عجب ، وهو يركز نظراته الحائرة على عيني :

— ولكنها تدق بانتظام ، يا سيدى !

وهتفت فى عجب صارخ :

— تدق ؟ !

فضاعف من ايماءة الايجاب التى يؤرجح بها رأسه ، ودفعها الى وهو يقول
فى يقين وجزم :

— اصغ اليها .. الا تسمعها ؟ ان دقاتها تبدو مرتفعة ، وواضحة ،
وسليمة .

ولشد ما شدهمت اذ سمعتها تدق بانتظام وصفاء . ولم أشأ اطالة وقفتى
مع العجز ، او اعطاء ، اى اعتذار على ملازمة اعتناق الساعة ، فانسحبت
من دكانه رافضا الحاحه واطهار استعداده لفحص دواليبها . لقد انطلقت بها
خوفا من مياغنة النكبة لى ، وكنت أتعجل السير لاهيه نفسى لما سيجابهنى
به الزمن ..

تساءلت بمرارة : من سيموت هذه المرة من أفراد عائلتى ؟ : أُمى ؟ أم
والدك ؟ أم أنا ؟ أم أنت ؟ أم هل ستجرفنى نكبة من نوع جديد لا تخطر لى
على بال ؟ لقد روضتني وقفة الزمن المياغنة او اطلاقها المفاجيء على قبول
حتمية الايمان بتوقيت النكبة ، وأنا الآن على استعداد للانحناء لمصيرى ،
وما على الزمن الا أن يفيد خنجر دقاته فى نصيبتى كما أغمده من قبل فى
نبضات أبى . ولم أدر لماذا لم أسارع وقتها بالذهاب الى منزلى .. الان خطاى
الوجلة من انطلاق دقات الساعة قد أفقدتنى السيطرة على ضبط اتجاهى ؟
أم أننى استنشقت من رائحة الزمن دخان نكبة من طراز جديد ؟ وفعلًا ، لم
أكد أدير المفتاح فى قفل متجرى حتى سمعت المنادى يصيح بالناس فى
السوق أن يبادروا بمغادرة المدينة لان نيران الحرب العالمية الثانية أخذت
تندلع فى مدر « المملكة التونسية » .

وصمت أبى ، وقد أثخنه ذكرياته وندبت جروح أعماقه .. وتطلعت اليه
فى الحاح عله يستأنف الحديث عن ساعته ، غير أنه أطبق فمه ، وأضاف بعد
برهة فى جفاف :

— ولم أحتمل لعبتى مع الزمن .. لقد كان ترصدى لاحدائه الدامية فوق
طاقة أعصابى .. كانت اللعبة أكبر من احتمالى ، يا ولدى ، لذا ..

وتوقف قليلا ، ورمى الساعة فوق فخذي وهو يختتم حديثه في اعياء
ثقيل :

.. لذا فقد أهملتها ، وحجزتها في صندوقي .

وتحجر الصمت ، وانفذت نظرة خاطفة الى الساعة ، وأنا أحس بدقاتها
تداعب نبضاتي ، وكأنها عقرب تسعى في الحاح وعدو ورنابة لتأخذني على
غرة ، وتنفث في عروقي سمها القاتل .. ورفعت في جهد عيني وأدريتهما
عاليا . واذا بشعاع الشمس قد تقلص عن الكوة . وانزلت نظراتي ورميتها
على صندوق والدي العتيق فبدأ لي كأنه تابوت يفتح أشداقه في انتظار جثمان
عزيز . وحولت وجهي الى أبي فوجدته ما زال ساهما زائغ النظرات .
وسمعت أمي تناديني من غرفة المطبخ فهرعت اليها ، فدفعت لي طبقا به كأس
حليب وبرنقالة وأقراص وزجاجة بها قطرات دواء والدي ، فالتفتت منها
الطبق ، ورجعت به الى الغرفة التي بارحتها منذ قليل . وما ان اقتحمتها حتى
تجمدت خطاي . لقد أبصرت أبي متكئا على وجهه بجوار الصندوق الذي
ظل مفتوحا . فدفعت بالطبق الى حافة الدكة وأسهرت اليه لانهضه واذا
بجسده ياتيني مطواعا . وفزعت اليه لاحتضنه وأنا أصبح في ذعر :

.. أمي .. أمي ..
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وسرعان ما وجدتها تعينني على حمل جثة أبي للفراش . ولما مددناه انكب
أمي على وجهه في هلع ، وأخذت تناديه في رقة ، ثم طوقت راحته بيدها
لتجس نبضه . وفي حركة محمومة دفعت أمي بأذنها الى صدره ، ثم رفعت
وجهها في ذهول ، وهي تصيح بي في يأس هائل :

.. لقد مات أبوك ، يا ولدي .. مات ، يا ولدي ..

ولم اسمع صراخ أمي . ولم أدرك ما وراء نشيجها . وانما اندفعت خارج
الغرفة ، والتقطت حجرا وأهويت به على الساعة التي تركتها على حافة الدكة ،
وأنا أصبح في عصبية وعيناي تتفرسان في وجه أبي :

.. أبي ، لقد حطمت الزمن .. قتلته . فهل تواصل حياتك ، يا أبي !

محمد المختار جنات



بقلم : سمير العيادى

هى عصا رقيقة يهزها هذا رقيقا (زع) ! هى عصا جد رقيقة يكاد يثقب بها سنام الجمل اذا وخزه . هى عصا دوما رقيقة لم يطعمها غير عرق الكف والاصابع (زع) ! وارتعاشات أنوبر والعظام . هى عصا يشق بها الانسجة الزجاجية الكثيفة المتصببة على الرمال سرايا محرقا ، ويعتمد عليها ليتحدى الصحارى البعيدة المجاهل والايام الثقيلة الالغاز (زع) ! هى عصا ..

برقيق أنامله يسمح عرقه الاسمر . يضبط جبينه وصدغيه لحظة . ثم لحظات . يتذكر انها شاخت ، انها رغم الايام عانس لا تلد ، انها رغم الاسفار والاختار التى عاش وخاض . (زع) هى عصا ...

يجترع امة وأفا ، أدرك انها ينتجان شيئا ، لا ينتجان غير صداع يسميه البسيط المنكمش تحت ظلمة القشاشيب تعاسة او هما أو ياسا . هى عصاه وليس له سواها . ليس له أن يشدها ، ليس له أن يحرمها غايتها او يضعف فيفقدتها محرکها . ومحرکها هو دافعها الاوحد بعد الخلق للخلق ، وبعد الكيان للتكوين والتعمير (زع) (زع) ! هى عصا ..

لم يرث العم موسى عصاه . لم يرثها ، بل غرزها فى عنق الجمل صائحا (زع) باصرا على الوبر الاملس قطرة غليان سقطت من شلال حاجبيه شاخصا فيها ، منحدرها فى أعماق تلاعبها مع خيوط الشمس التى بعثرت منعطفات دماغه ..

فتح العم موسى باب الغرفة . فجوا . سحب العم موسى ستارا أخرق

من مدخل الغرفة ، فثارت مخلفات العناكب العسجدية في دياجير الاركان المستيقظة ، وصدمه خيط أحمر بين رموشه ، ولفحته نسمة الفجر الباردة في خواء أخاديد وجهه ، وهبت عليه وشوشات النخيل المعهودة وقهقهات الحمار ، المألوفة ، وزقزقات الكناكيت ، قافزة في الحوش وراء سفي الديدان اللاهبة جدا واجتهادا رغم فقدان الغنيمة .

بعد موت أبي موسى ذلك معهود !

تحرك العم موسى نحو كوم من الحجر المتفتت والتراب المتجمع ، كانت (يا حسرة) ! تمنع عن وقار مجلس أبيه في الرواق المهترى . افات الرياح والرمال ونظرات الفضوليين المتسكعين ممن سئم رفع الفأس او من غمس اليدين في رقرقة السواقي الضنيينة ، فهجر السانية ونسي المنزل ، وأضاف الى المتشدقين على حصيرات الجامع المقدس او الحلاق الكسول شديقين لا يعرفان تسليما او مللا ، ولا يدركان تقديرا او خجلا .

كان الحديث في هذه الاماكن التي تدفئها الانفاس وتفظيها الاوجه ، لا يلسع غير أبي موسى ، فيفرز فيه ابرة الكلام المتكرر المتفتت الداهش حتى ينتفخ خياله باطلا في الخواء المخيلة . كان المصلون من عبدوا ربهم تمتعوا بين طيات الحصيرات شكرهم للوهاب الذي أغناهم بغنى أبي موسى غير حاقدين أو حاسدين . وكان زبائن أبي موسى ان أحنوا الرؤوس وراوا قملهم يدب بين شعراتهم المصمغة حسبوه قافلة أبي موسى محملة بين رحي الشمس الرمال بمسيل اللعاب الجاف ، وعاصر الامعاء الجائعة غير حاقدين أو حاسدين . وكان المارون ان راحوا او غدوا - وما رواحهم وغدوهم الا تردد بين الحلاق والجامع الصقوا الاذن بجدار أبي موسى عليهم يعلمون ما قرر ، (مجلس الصدقات بمناسبة رأس العام او عاشوراء او المولد النبوي او فاتح رمضان او ليلة القدر او عيد القطر او عيد الاضحى .. او .. والمناسبات يحفظها القوم عن ظهر قلب) فيسبقون بالاخبار غير حاقدين أو حاسدين ، شأنهم في كل ذلك شأن الدواجن في القفص ، او شأن الحصى لا يندفع ان لم تدفعه الريح سموها مصيرا مرسوما في العلوات ، ودفعهم نعتوه لقمة مسبوغة يلتهمونها غير حاقدين أو حاسدين ، فالحسد لا يعرفه من مات احساسه وغاص فراغه في وزرات القعود او التدرج الى الانطفاء .. ذلك معهود .

رفع العم موسى قلة ملأت شدقيه ، فاضت على رماد ناصيته ، فاطقات ظمأ
ليلة ، وضمنت رواء نهار ، وخلقت على الحصلات خلایا مترججة عاكسة وهج
الصبح ، لان العم موسى لم ينس دهن شعره بزيت المرحومة وهل تنسى العادة
التي يفرسها مرحوم ؟ لقد قالت له يوما :

– عليك بالزيت يا ولدى .. الزيت يحميك من وجع الشمس ..

ثم التفتت الى ابي موسى وقالت :

– فى عودتك من هذه السفرة لابد ان تأتيني (بشوشة الورد والقرنفل) .

فاجاب أبو موسى راكبا ناقته :

– الله يبارك ..

وسافر وابتعد وغاب حتى اذا عاد دهنت المرحومة رؤوس كل صبية الكتاب
بزيتها الثمين ، لكن الصبية ما كانوا يدركون هبها ، ما كانوا يفهمون تمتعات
المؤدب المتصاعدة من أصفر أضراس تهتف باسم الرحمان ، وتثنى على أبى
موسى وأم موسى ، وتبارك الصبى موسى الذى منك لوحته يدين مرتعتين
وحرك كتفيه الضيقتين فى الزاوية القصاة للأجسام المتشادفة وحملق
بعينين تشدان الخلاص .. تشدان اقتراب ساعة التمرغ على الرمال والتقاذف
ببعرات الاحمرة والجمال ... ذلك معهود !

تقدم العم موسى يجر تحت رجليه ما خلفه الزمن والتراب من جلد حذائه
الذى عاد به أبو موسى من السودان او مراکش سنة هجم الجراد على السنابل
فكاد يقطع جذورها نهما ، ويحفر الارض غيضا وحقدا . لقد عاد أبو موسى
من سفره بسرعة البرق كما يقال ، حتى تهامل عرقه ، وهو يبعث فى بقايا
المؤمنين عزيمة تدفع اذى الحشرات على غذائهم ، فماذا كان يهمهم والحقل ملك
أبى موسى ؟ غير ان يتلقوا حفنة القمح او الدقيق مع بسمة المرحومة
المتفاترة يوما فيوما ؟ . وماذا كان يهمهم اذا خرب الجراد الزرع وهم قد
تركوا السانية ونسوا المنزل ومكنسوا يتشدقون او يهمهمون مسبحين جاهلين
ما للارض من عمق معنى وما للزرع من بعد مدى . لقد ردد أبو موسى فى
وجوههم أنهم بدون أرض مزروعة لا يكونون . وأنهم بدون حرص على تلك
الارض المزروعة لا يحيون . وأنهم بدون تحرك لا نقاذ الارض المزروعة

لا يخلدون • انهم بدون عمل فى كنف الارض المزروعة لا يسوون الجنة ولا يسعدون • لكنهم مأحرسوا وما تحركوا وما عملوا • واضطر الى الحرص مع المرحومة بمفردها كما مسكا المحراث بمفردهما ، واضطر الى التحرك مع المرحومة بمفردها ، كما زرعوا الارض بمفردهما ، واضطر الى العمل مع المرحومة بمفردها ، كما كان يحصدان ، غير ان الوصول الى الغاية كان مرهقا محالا ، والحشرات العديدة ضارية ، فافتت المرحومة قبواها ، واسلمت روحها المكافحة ، وما بقيت روح الكفاح متأرجحة الا فى هيكل ابنى موسى الذى هشم صخرة بجمع يده ، وقام بما بقى له من حول ومال يدعو القوم من جديد • ولو لا ذلك لما استيقظ نائم خامل فى ترهات زاوية سيدى زيد ، أو عب سكران شاخص البصر فى قلعة من اللاقى المعتق الذى يجرح الاضراس ، ويجزر الاحساس ••• ذلك معهود !

حرك العم موسى الباب ، فصعق العم موسى • وحرك الباب فارتعشت عينه برؤية حشرة تدب وتختفى فى جحر عميق • لم يتبين أية حشرة او اى جحر • ولكنها ليست جرادة ، وهذا ما بعث الاطمئنان فى مغاور النفس المفجوعة • وهذا ما جعل انهم موسى يتقدم خمس خطوات ويجعل بصره ينزلق على اثر عذرة المؤدب المتماوتة ، متجها نحو الرحبة التى امتدت امام المسجد الصامت ، وجمعت القطيع الهزيل قبل ان يسوقه الراعى الى بطاح « البلبال » ، ولكنها ليست جرادة ، هى فكرة ساذجة طبعا ! فالجرادة لا تدخل جحرا ، ولكنها مع ذلك •• وهذا من شأنه أن يهنى المؤدب فلن يغيب عنه تلاميذه لمحاربة الجراد وحرمانه من الدرهم الفواح ليلة الجمعة •• لقد وقع له ذلك سنة عاد ابو موسى من السودان أو من مراکش لمقاومة الجراد النهم ، فلم يشارك فى العملية الا حين امتدت يد ابنى موسى لتلصق الدرهم بأنفه ليلة الجمعة •

لقد كان ابو موسى يصيح : ما حال الدرهم ، يا سيدى المؤدب ، والجراد قد عاث فيها فسادا ؟ ولكن - قهقهته - الدرهم فواح يفتدى الارواح ذلك معهود ! ••

توقف العم موسى فحسب الشمس انطفاة وهى لم تظهر بعد بدائرتها المتكاسلة أو حسب الشمس انطفاة فتوقف ، إنه يعاف المنظر الكريه الذى

« يقرقز » و « يخزخز وتصصع » له الفرائص فجرا • لقد مات أبو موسى يوم أن رأى جثة كلب ملقاة في طريقه إلى المسجد راحتها تبليبل الأمعاء ، ومنظرها يمزق شرايين العين والحلق ، فصلى أبو موسى صلاة الفجر وصلاة الصبح أمام البعض الذين اتخذوا المسجد مسكنا • ثم وعدهم وركب ناقته صائحا بها (زع) ! غير أنه لم يعد يسمع القوم جهورة صوته بل ليريههم فساحة بسمته وجلالها ، وهو غارق في الصمت مكنن في الجمود ، فاضفى على جنازته أطنانا من وسوسة رأسه تحت مسامير الشمس التي قتلتها ، فساد الانحلال وانزلق إلى ما بعد الانطفاء ، تاركا بعض سنابل لم يمسها الجراد ، تكفى الجياح مدة أسبوع • ولولا رائحة درهم أصفر دسه موسى في كف المؤذب لما قال معام الصبية وامام الشيوخ بعد أن صلى على الميت : رحمك الله ، يا أبا موسى ، والله ما بقى لنا بعدك للفقير درهم أو للمريض العليل مرهم ، فقت العباد ، فكافحت الجراد بكل إيمان واجتهاد • وحاكيت ابن عفان فاشبعت الجوعان ، وأرويت الظمان ، وأطردت عن كف المحروم وحشة الحرمان ، كنت الروح فينا فمن روحنا بعدك ، ومن أين ! • وهل خلق جل جلاله للجسم روحين ؟ أبدا • وحقق مالك الأرواح ومقدر الافراح والاتراح • ثم دفن أبو موسى وراح المصلون إلى الزاوية يحتكون بلمفاتها • وغاب الآخرون بين جذوع النخل يتساقون ما زغردت له الأمعاء والمعدة ، وصفقت الحويصلة والكبد ذك معهود ! •

أدار العم موسى وجهه ومر • ولكنها ليست جرادة • أسرع العم موسى خطاه فكاد يتخلى عن أشلاء حذاء السودان أو مراکش • • لقد لاحظ غرابة في اثر العنزة ، ولكنها ليست جرادة • • جرى حتى وصل الرحبة التي امتلات تماوتا ثاغيا فهاه أن رأى كل العنزات رافعة رجلا من الأرجل الأربع وكأنها تشير إلى التيس الوحيد الذي راح يتشمم بعرا أصفر غريبا ثم يرفع وجهه إلى السماء خافضا قرنيه ، كاشفا أسنانه لا ليبتسم كعادته بل ليقهقه قهقهة متأوغة ثقيلة متباطئة ، ويسمع بعدها « شليقة » معدته ثم « يلبب » ويزمجر ويزمهر وينقض على الراعى الذى ألقى عصاه وتسلق نخلة صائحا : « واعو • • » عندئذ انفتح باب وخرجت منه « شاشية » « وبخنوق » ثم باب ثان فخرجت منه « قشابية » فصاحت الشاشية ببخنوقها أن عد إلى الدار ، ثم تقدمت القشابية من الشاشية ليمدا عنقيهما في نفس الآن إلى

الراعى الذى تحسس عرجون النخلة الأوحـد • ووجد به بسرة أكلها وبصق نواتها على رأس العم موسى ، وقفز هذا مستيقظا من ذهوله ليرى القطيع قد تبع التيس جريا نحو الأفق حيث الصحراء التى مات بها قاهر الجراد ، فابتسم ثم ضحك ثم قهقه ، فابتسمت القشايبة والشاشية ثم ضحكتا ثم قهقهتا ، فانضم الراعى الى الابتسام ثم الضحك ثم القهقهة الى ان قدم المصلون قاصدين المسجد • وأتى الساهرون تاركين قلة اللائعى ، فأخذ الجميع يبتسمون • ثم يضحكون • وما أدرك احد تعلقة الضحك ، أو سال عن موجب القهقهة • إنما راحوا فى شوقهم إلى رنات أصواتهم وهزات أجسادهم ، حتى صاح سيدى المؤدب : الله اكبر ! • الله اكبر ! • فدخل المصلون مسجدهم متسابقين إلى الزوايا والأركان لما بها من دفء مضمون لمدة يومهم ذلك • وانصرف المترنحون كل الى خدر زوجته لينجب ما شاء الله واللائعى من الأولاد والبنات • وما بقى فى الرحبة غير الراعى راكبا النخلة متحسسا العرجون عينا ، أو العم موسى شاخصا فى مكانه ، ماسكا عصا الراعى ، متأملا فى البعر الأصفر الغريب ، هامسا بحشجرة اندهاش • ولكنها ليست جرادة ، ولكنها ليست جرادة • ذلك غير معهود! •

<http://Archive.eta.sakhril.com>

اجتاز العم موسى عتبة الدكان مستنشقا عبير الزيت المحروق • واخترق الضباب الرمادى صائحا • «فطيرة ناضجة مضروبة بالسفود يبارك فيك» • ثم عثر فى شيء لم يتبينه فسقط منتصباً على حزمة من الحشيش الذى أكلت خضرته الشمس • ثم اخذ يحملق فى الأخشاب الممتدة فوق رأسه ، الاسنة ببذرات الموت التى تنخرها ليلا نهارا لتجعل منها شباية هزيلة لرياح القفر إن نفخت ، أو لتحفر بها زراديب غارقة للحشرات التى هجمت • ومن حين لآخر كان يضع عينه بكفه متأوها أو قائلا : - « عيني يا فلان عيني » - • فجفجغ « فلان » ضاحكا رغم كثافة لحيته التى كفرت باسم الحلاق وجهلت شفرة موسى وعافت مداعبات الحصيرات بالمسجد • وأجاب مفتعلا مسح يديه النحيلتين بعد أن القى بالفطيرة فى طبق الزيت الأسود « حتى أنا عيني ، يا موسى عيني » فاندھش العم موسى • وأسرع قلبه الخطى فى ثنايا الفزع • ثم خزر متطلعا إلى فطيرته المنتفخة على قاع الطبق ، وهم أن يوشوش •

« اسمع ، يا فلان • ما أرى فى ذلك خيرا ، ما كان بالمعزات حيرنى • وما فعل التيس دوخنى • وما أصبح عليه بصرى وبصرك أمر يزعجنى • ثم ما قيل فى المسجد من أن المؤدب لدغ ، وابن جارته لدغ ، وأم الحلاق لدغت أيضا كل ذلك فى ليلة واحدة » •

فمرر (فلان) أنفه على ظهر يده الذى لعج لحظة ثم اندس فى منديل أبيض مسود ، وبيده الأخرى مسك السفود ووخز به الفطيرة عدة مرات فى حواشيها متمتما مرتجفا « بعد الله انشر » اذا كان والدك حيا ما عرفنا بلاء ، اللهم الطف بنا ••

ثم يلتفت إلى المدخل ليتبين ، رغم الغشاوة الدخانية نحو طفل أبكم ما عرف كيف يسأل لقمة ، فينهره لاعنا سخاطا ويهدد « بكرنافة » غليظة فيغيب الطفل لوقت قصير ثم يعود ، وينظر إليه العم موسى ويتأمله بعناء ملحوظ ، ثم يقول :

– ولكنه ابنك ، وأنت أبوه الذى لعنته •
فلا يتمالك « فلان » من أن يندفع الى الخارج « بكرنافته » مخنوق الصياح:
– لعنة الله عليه هو ولد الحرام • آه • يا •• بخش خايب •• انتظر •

ثم يعود وقد ذهب منه بعض الغضب ، وبينما يرتفع البكاء فى الشارع يخرج الفطيرة من الزيت أو من قاع الطبق • وياخذ « سعة » من « جريدات » السقف يمررها فى الفطيرة ويقدمها للعم موسى بيد هزيلة مدهونة بشتى الزيوت والأوساخ ، بينما ترتعش الأخرى شوقا الى درهم صغير قد لا يفيد شيئا ؛ لأن الدقيق والزيت لم يبق منهما غير تلك الفطيرة فى القرية كلها ، ولكنه درهم يكشف عن الأسنان التى شرب من بياضها « السلاقمى المعتق » بقدر ما شربت منه •••

خرج العم موسى ودفع رجله يتقاطر عليهما الزيت ، زيت جبينه لا زيت الفطيرة ، فقد سال عرقه ، وازداد انزعاجه ، وأنصت الى البكاء لحظة ثم قصد الباكي فوجده فى حلقة من الفتیان يتعاونون على نشر الدموع ويتأسون بصواتهم الفاشلة ، فأعطاهم الفطيرة مربتا على كتف كل واحد منهم ، بينما

انتصب (فلان) فى مدخل دكانه ناظرا متبسما هائثا ؛ فقد غنم درهما وربع
فطيرة لابنائه الاثنى عشر . كان يتسائل لمن سيعطيها او سيبيعها ، ثم واصل
العم طريقه جاهلا إلى اين يسير ، تاركا انفتيان ، وقد انبطحوا كعادتهم .
ولكنهم فى هذه المرة لم يقنوا . فاندعش (فلان) وفزع لاهثا مسرعا إليهم ،
وفحص الأنفواء فوجدها مسدودة بلقمة العجين . ورأى العيون جامدة
الارتعاش ، ثم وضع يده على صدر كل طفل ، فإذا القلب ساكت ، وإذا
الصيحة تخرج من حلقه . .

— أجرى يا فلانة أبناؤك . .

وقبل ان تصيح (فلانة) باكية أبناءها ، ارتفعت ضجة فى منزل الحلاق ؛
فقد ماتت أمه اذ لدغتها حشرة مجهولة النوع مرة ثانية ، ولم تند الدرامم
ولم تنفع المراهم ، واقتصرت زوجة الحلاق على رفع أطافرها على خدما لا
لتنذب بل لتمررها على شحوب وجهها ؛ لأن الفتور ما ترك لها حولا أو قوة ،
وبما أن العم موسى كان مارا من هناك فقد عطف إلى المنزل المصاب متمتما
همسات رتيبة .

ولكنها ليست جرادة . ولكنها لينمت جرادة <http://www.egyptology.com> وكل ذلك غير معهود .

انحدرت الشمس محملة بلعنات القوم بعدما دوت فى خواء أدمغتهم
ساعات . وأخذت تزحف على خيط الأفق لتضم نخلة قد انفردت بين
هضبتين من الرمال المحمرة ، وتذوب فى عناقها ، وتغنى فى قوامها النخيل ،
فتخجل سطوح الديار المنسية فى عرض القفار بين السودان ومراكش تأكل
منها الرمال والرياح ولا ببقيا غير خرقه من النخيل العارى الذى علتة قلل
« اللافى » وتمددت تحته هياكل سكارى .

نظر العم موسى نظرة أخيرة الى تلك النخلة المنفردة متبينا — لآخر مرة
الوجهة التى سيقصدها فى غده ، ليروح إلى مراكش . ثم نزل من فوق سطح
بيته مدرجا جسمه على الجدار الوحيد الذى تبقى من بعد أن مات أبوه
واضعا قدميه على كوم الحجر والتراب وقصد المسجد ، ثقيل الخطى ، مرتعد

الفرائص ، مغموم النظرات ، مقطب الحاجب ، شاحب الحد ، ميلل الجبين ،
ويسقط من رجله حذاء مراكش أو السودان ، فلا يعبا له ، وتقفز أمام
عينيه الحجرات فلا يتوقف لها . وتتطلع إليه ؟ « البخانيق » من وراء
الأبواب النخرة فلا يسمعها غير همسات مضطربة . ولكنها ليست جرادة ،
ويظل ذلك دأبه الى أن يصل الرحبة فيجد الراعى رافعا يديه عاضا شفتيه
متسرردا مفسرا :

ـ لحقت بالقطيع والله .. لحقت به . البعر أصفر غريب .. وجدته على
طول الطريق .. وجدت العنزات .. لكن ..

فقصف صوت العم موسى مخنوقا .

ـ السنة خارجة ، وبطون منتفخة وارجل الى السماء مرفوعة كاعمدة بلا
سقف .. اعرف ذلك هل لك ناقة ؟ ..

فارتعش الراعى قبل ان يجيب :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ـ لا .. نعم . الى جمل .

وبقى ينظر مشدوها الى هذا الشيخ المتحامل عليه . واذا هذا العم موسى
من صوته طلب من الراعى ان يأتيه بالجمل حالا وان يعطيه عصاه ..

وخرج القوم من المسجد متطلعين متبوعين بالمؤدب الذى اصفر وجهه وذاب
فى بياض جبته الحمراء ، ونظروا الى العم موسى ، ولكن الشيخ لم يتكلم
إلا بعد صمت بالك ، وذهول شارد ، فقال :

ـ ما حالنا أمس ؟ وما حالنا اليوم ؟

فاجاب المؤدب شاهقا :

ـ ماتت زوجتي ملدرة وزوجة الحلاق ملدوعة ، بعد أن ماتت أمه
ملدرة . وما بقى إلا هو لم يلدغ بعد ، كما غسلت أبناء (فلان) وكفنت ...
وصليت على ... و ...

واندفع يذكر الأموات الواحد بعد الآخر مذكرا بذلك أهلهم الذين ما يزالون أحياء • إنهم لم يدفعوا إليه ثمن الغسيل والتكفين وانصلاحة • لكن العم موسى في سخرية الموقف أوقفه ناهرا :

– دعنا من النهم فنحن جياع لا نجد دقيقا أو زيتا فما حاجتك بدراهم لا تشتري بها شيئا ؟ مائت المعزات فهل لك شيء ؟ وختل الاكياس من القمح فهل لك شيء ؟

– لي الله حسبنا ونعم الوكيل ، لقد صلينا عشرين ركعة •

– ما دخل الله ؟

– دخله أن الامر أمر الله •

– ما كان هناك أنه يفعل الشر • الشر من البشر ، منك انت • ومعنى أنا • ومنكم جميعا •

فانفتحت الأفواه لهذه الكلمات « الجريئة » وارتفعت الأنظار الى السماء منتظرة صاعقة تنزل على قبعة العم موسى ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل واصل الشيخ الصائح كلامه :

– « لن أخطب فيكم ؛ لاني لا أحب الخطباء فلا تنظروا الى هذه النظريات الجاهلة اليائسة •• أقول فقط •• : إن صلواتكم لا تفيد • فلن يبعث الله إليكم عصا موسى لتلتهم هذه الحشرات • وإذا كانت هناك عصا موسى فهي عصا هذه ، او عصا الراعي التي ساقود بها جملي أو جمل الراعي عبر الصحراء نحو مراكش ومنها الى السودان لأعمل لا تاجر ، سأنتقل من لا شيء كما فعل أبى • ساجد الأكل ، ساجد المال الذى به اشتري • بعمل • فقط • أقسم لكم بعمل فقط • الحشرة التي تعض الامعاء ليست الحشرة التي تمخض الرجال فلا نوبة « بزواية سيدي زيد » ولا رقدة تحت النخل ، ولا جرة من اللاقمى ، العمل • الارض المزروعة ، بدون أرض مزروعة لا تكون ، وبدون حرص على الارض المزروعة لا نحيا ، وبدون تحرك لا نقاذ الأرض المزروعة لا نخلد ، بدون عمل فى كنف الأرض المزروعة لا قيمة لنا • لن أقول خطبة ، أنا لا أحب الخطب ••

ثم ضرب فخذه بالهصا وراح قاصدا حياة اسمها العمل *

* * *

ومن الغد إذ أطلت الشمس محملة نقمة على من لعنها بالأمس ، وجدت العم موسى قد ركب الجمل الوحيد الذي نجا من سم الجوع ، وتجاوز النخلة المنفردة بين الهضبتين من الرمال المحرقة يهز عصاه هذا رقيقا يتمتم :

(زع) ! (زع) ! (زع) ! هي عصا * وتزعم الخرافة أنه أصبح من أكبر التجار في حدود القفار سيد كل مكان بين مراكش والسودان *

سمير العيادي

نوفمبر 1967





قصة بقلم : احمد الهرقام

هذا الصوت المتدفق من شفيتها يضيعنى ، ويوقظ احلامي ، ويدفع بى الى عالم مملوء بالاضواء والنشوة .. صوتها العميق يتدفق من عينيها الواسعتين ، من جبينها العريض ، من نظراتها المناسبة نحوى .. من شفيتها اترقيقتين .. من حر كاتها .. من شعرها المتهدل اللامع ..

هذا الصوت اسمعه بعيني .. بكل ملامح وجهي .. بوثبات ادم فى عروقي .. اسمعه بالسنوات التي قامت عليها حياتي .. بالدقائق والساعات التي زحفت على اعصابي .. هذا الصوت اسمعه بايامي .. بليالى الشتاء والجوع .. بالحارات والازقة التي لعبت فيها .. بكتاتيب الحى .. بلوحة القرآن ، وحكايات الناس الطيبين فى الارض البعيدة ..

كانت تتحدث عن الحب والخير والشعر .. كانت تدخن فى اناقة وتشرب فى اناقة .. اصدايعها النحيطة تنقر فى خفة على غطاء المائدة الاحمر .. وموسيقى « الفالس » تزرع الربيع فى المكان ، وتدفع بالكؤوس الى الشفاء وتزيد فى تالق النور ..

« الدانوب الازرق » يولد فى كل لحظة من اوتار العازفين الماهرين ، ويلتف حول خصور العشاق : الراقصون اكتظت بهم الحلبة فامتثلوا للانغام ، وتربعت فى نظراتهم الرغبة والاحلام ..

هم ينظرون فى عيون بعضهم ويهمسون .. وفى عروة بدلاتهم الداكنة

نفتح الورد الاحمر وزرع عروقه فى القلب .. وصوت (كاتى) ما زال يعانقنى
ويهز وجدانى ويتسلل عبر أفكارى الى مجاهل نفسى ..

— ألا تشرب ؟ .. انها « شيمانيا » عريقة وطعمها خاص هذه الليلة ..
« .. نعم طعمها خاص هذه الليلة ! .. »

رفعت كأسها الى شفيتها ، وأغرقتنى من جديد فى لون عينيها الصافيتين .
تأملت فى رموشها الطويلة كأننى أراها لأول مرة ، ولهتت بنظراتى فى
احتضان المدى الازرق .. انها زرقه داكنة بعيدة الاطراف يلوح بريقها كخيوط
من الفجر ينبع فى أعقاب ليل طويل ..

— اننى سعيدة بالاحتفال بعيد الميلاد معك بعيدة عن اهلى .
وأطبقت أجفانها فى رفق وواصلت الحديث هامسة :

— فى مثل هذه الليلة ولد المسيح .. ولد الطفل الذى جاء بالعدل والسلام
فوق الارض .. كل الشعوب تصلى وتشكر السماء من أجل هذه النعمة ..

تمنيت ان أعارضها . وان أحتج على أقوالها .. تمنيت أن أحدثها عن
أشياء كثيرة هذه الليلة .. تمنيت أن أقول لها : انى لا أحتفل بهذا العيد ،
وبكل الاعياد ، وان قلبى ليس فى صدرى ، وان العيد للاغنياء وحدهم فى
الارض .. فتشتت عن الكلمات فى حلقي .. حركت لسانى فى صمت .
وضاعت عيناى فى أسراب الراقصين المتأنقين ، والموسيقى تتصاعد فى
جو القاعة الفسيحة ، ورائحة الورد والعطور الكثيرة تعبق فى أنفى وتقتل
أنفاسى . نظرت الى الاحذية اللامعة .. تابعت حركات الراقصين الانيقة ..
حدقت فى وجوههم .. فى ابتساماتهم .. فى اسنانهم البيضاء المصقولة ..
هم ينحنون باحترام ، ويتحركون فى رشاقة بالغة . أصواتهم تتكدس فى
أسماعى ، ولا تصل الى رأسى .. تلتصق بأصابعى .. بأطرافى .. بأعصاب
ثوبى .. ضحكاتهم لا أسمعها . أراها معلقة على الشفاه المظلية بالاحمر
وعلى الوجوه المصقولة كالمرآة ..

صوت (كاتى) هو الخيوط الذى أتشبث به فأحسبه وأنسحب معه بعيدا عن

عيون الناس .. انها تحدثنى عن الحب والسلام والعدل .. وأنا أبحث عن شجاعتى .. عن كلماتى .. عن قوة ابلاغى لحدثها عن العيد فى غزة والقدس وفيتنام .. قرأت فى الجريدة هذا الصباح خبرا كبيرا فى الصفحة الاولى « الحرب سوف تتوقف فى ليلة عيد الميلاد » لم يقولوا : انها سوف تستأنف فى يوم الغد .. وانها سوف تقتل الاحلام التى احتفلت بالعيد ليلة أمس ، وتفتك بالقلوب التى تضرعت للسماء فرحة بميلاد المحبة والسلام ..

(هل تحتفلون فى بلادكم بمثل هذه الاعياد ؟) ... كأنها تريد أن تحثنى على الكلام .. وأن تزرعنى من جديد فى جو القاعة الصاخب ، أخفيت رأسى فى حركة لم أقصد بها اى معنى . وأردت أن أبتسم لها فى حنان ، وأن أطلب منها الخروج فورا من هذا المكان .. أردت أن أهرب بها بعيدا بعيدا .. أن أصعد الطوابق السبعة التى تفصلنى عن غرفتى المعلقة الصغيرة فى شارع طويل ببازيس ..

كدت أنطق فى لغة لحدثها عن العيد فى بلادى .. عن الاطفال الذين يملأون الحى بدوى المزامير والاصوات المرحية .. عن الطيبين الذين يقبلون كل من يعترضهم فى الشوارع ، ويفتحون قلوبهم وجيوبهم ويبتسمون .. العيد عندنا هو اليوم الذى يخرج فيه كمنائى الجديد الوحيد من صندوق الجدة لالبسه فى الصباح ، وأسرع باخفائه فى الليل فى انتظار العيد القادم .. هذا الكساء يبقى جديدا ! لانه ينام طول العام فى الصندوق . كنت أعد الايام والليالى ، أحلم به فى كل وقت وأتذكره كلما رأيت طفلا فى الكتاب يلبس ثوبا جديدا ... كنت دائما أتحدث عن كسوة العيد المخبأة فى الصندوق .. جدتى تحرس الصندوق صباح مساء ... تنام بالقرب منه وتضع المفتاح تحت المخلدة .. كنت غالبا ما انسى البرد فى الشتاء لاننى افكر فى كسوة العيد التى سألبسها امام الاولاد ، واذهب بها مع نساء الدار صباح العيد الى زيارة القبور لآزور قبر أمى ... كلما فكرت فى كسوتى تذكرت أمى ، تذكرت القبر الابيض الذى نبتت على جوانبه الطحالب ومالت بعض أحجاره ، والذى أشارت اليه صباح أحد الاعياد يد احدى قريبائى قائلة : (هذا قبر أمك ..) احسست فى ذلك اليوم اننى اراها .. وانها خرجت من القبر لتحدثنى عن احوالى ، وتسالنى عن سورتى فى الكتاب ، وتسوى بين حين وآخر رقبة كسائى ، وتزيل عنها غبار الطريق .. فى ذلك اليوم

صدقت ان لى أما ، وأنها ترقد فى هذا المكان . كنت دائما أفكر لو كانت تسكن معنا .. وهل اكتمى يوم العيد بمسح حذائى فى حين يلبس أولاد « المختار » و « ذهبية » أحذية جديدة .

العيد عندنا هو صباح اليوم الذى أغتتم فيه فرحة تقبيل اعمامى وخالاتى لترن القطع النقدية فى كفى قاعدها أكثر من مرة ، وأتحسسها فى جيوبى ، ثم أسرع بها الى باعة الكسكروت والمرقاز ، وأندس بين سيقان الرجال ، وأطالب باكلة دسمة انتظرتها منذ أمد بعيد ...

لكأنها تريد ان ترهق الصمت الذى تحجر على شفاهى وقبض على أفكارى فعاد صوتها يوقظنى ويشدنى الى نبراته . تحدثت (كاتى) عن العيد فى بلادها ، عن فرحة الميلاد ، وعن الشجر الأخضر الذى تلتف حوله الاسرة وتنيره بالشموع الملونة . ثم يأتى شيخ تدلت لحيته البيضاء على صدره وكسا الثلج جلبابه الصوفى الطويل فيوزع عليهم اللعب والهدايا ، ويحكى لهم أجمل الحكايات ويختفى فى طرفة عين من حيث أتى .

— ما أجمل الطفولة فى اعياد الميلاد ... اليس كذلك ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم ابتسمت فى صفاء واحتوتنى بعينيها الكبيرتين .. كدت أقف أمامها وأصرخ فى وجوه الحاضرين ، وأطلب من العازفين التوقف عن الموسيقى والابتسامات وقرع كؤوس « الشامانيا » .

رأيت طفلا فى الادغال يبكى بجانب جثة امرأة كانت ترضعه منذ قليل .. اجتاح السماء دوى مفاجىء واهتزت جذوع الشجر لتفجير هائل مزق بطن المرأة وأطاح بجسم الرجل الهزيل الذى كان يحفر الارض منذ لحظات ... تدفق الدم غزيرا من جسم المرأة وضاع نشيج الطفل فى دوى الطلقات المسعورة .. رأيت جنودا يحتضنون سلاحا أسود ، ويصرخون الارض بأقدامهم الغليظة ، ويهجمون على كوخ فى مشارف الصحراء ، ويتكلمون بلغة لا أفهمها ، ويقلبون كل ما فى البيت فى حقد ظاهر . وبعد ما اخرجوا المرأة والاطفال الستة صرخوا فى وجوه الحاضرين ، وأشعلوا سلكا انفجر على انصره الكوخ ، ثم اخذوا الزوج مكبلا .. وركبوا سيارة الجيب ، وضاعوا بين كثبان الرمل وفى كنيسة « المهدي » كانت الاف الشموع ترتعش أمام صلوات الشيوخ

الملتحين • وفي المدخل الكبير وقف حراس مدججون يتفحصون اوراق الداخلين ويضحكون في سعادة ••

وموسيقى « الفالس » ما زالت تختلط بالنور الخاطف ، وتعكس البهجة على وجوه الحاضرين • والجواهر الثمينة ترصع الصدور والاصابع ، وتخزن الاشعة اللاعبة وتخطف الابصار • الكؤوس الشفافة تتسارع الى الشفاه ، وتترك النور في الوجنات •• باريس هذه الايام تحولت الى قبة من نور الاضواء في الشوارع ، وفي النوافذ وواجهات المغازات الكبيرة ، تبتسم للمارة وتعرض احسن ما عندها ، والناس يمرون في الشوارع والاسواق مسرعين .. وجوههم لا اميزها ••• حركاتهم متشابهة وكلماتهم متشابهة والابتسام عندهم شيء ليس له معنى •• يقفون في الصف امام بائع الحضر ، وفي الصف امام بائع الخبز ، وفي الصف امام بائعة الزهور ، وفي الصف يركبون « المترو » •• وعند ما يعوى قطار اللوح والقزدير في الاقبية الطويلة المظلمة ينظرون الى بعضهم في صمت ، وتهدل ملامحهم ، فيسارعون الى دفن رؤوسهم في الجريدة والمجلة والكتاب •••

سمعت ذات يوم لحنًا حزينا ينبعث من أحد أروقة المشرق ••• اخترق اللحن قلبي ، وقيد خطاي ، وجذبنى في قوة الى المصادر : رجل مسن ، أعمى جلس على صندوق خشبي ، واحتضن آلة (الاكورديون) •• ومن اصابعه تدفق اللحن الحزين يتابع أقدام المسافرين في الاروقة الطويلة •• تأملت في وجهه المتعب وفي جسمه المتكوم على الصندوق ، وهو يحرك ذراعيه في جهد كبير ، ويلقى بالحنان تحت الاقدام المتدافعة الكثيرة •• لم يلتفت اليه احد •• وظلت الصفيحة الموضوعه امامه فارغة باردة •• والوجوه تسرع الى عربات القصدير والخشب .. عيونهم متشابهة وكلماتهم متشابهة وهم يقفون في كل مكان في الصف بدون اى احتجاج واى تذمر ••

جذبتنى (كاتى) من يدى الموضوعه على المائدة ، وابتسمت مجاملة ، وهى تقول :

– أنت لست كعادتك الليلة •• لماذا ؟ •• لقد مر الوقت بسرعة وأنا أريد أن أحضر « قداس » نصف الليل في كنيسة « نوتردام » •• الا تريد أن تذهب ؟ ••

وقبل ان يفتح الخادم الانيق الباب بادب جسم وقفت تطمئن الى زينتها
وتسوى شعرها ٠٠ ثم ليست معطف القرو الثمين ، وأدخلت أصابعها في
القفاز الاسود ٠٠٠ وعند ما احتوانا الشارع تابطت ذراعى وقربت وجهها
منى باسمه :

ـ الجو بارد جدا هنا ٠٠ لماذا لا تلبس معطفا صوفيا وقفازين لوقاية
أصابعك من البرد ؟ ٠٠

كدت أقول لها ٠٠ : اننا لا نلبس القفاز في بلادنا ٠٠ واننى لا أملك ثمن
معطف من الصوف ... بالامس تلقيت رسالة تخبرنى فيها جدتى أنها باعت
الغطاء الصوفى الوحيد فى بيتنا ، واشترت بشمه الكتب والكراريس لتذهب
أختى الى المدرسة ٠٠٠ وقالت فى آخر الرسالة كأنها تهون على : « ٠٠٠ لقد
بعته فداء لك ٠٠ وستعود بأذن الله لتشتري لنا أحسن منها ٠٠ »

البرد فى شارع « الاوبرا » شديد هذه الليلة . وقطع الثلج الصغيرة
تتراقص فى الهواء ، وتصبغ الطريق برداء جميل جذاب ٠٠ المغازات الكبيرة
متسوهجة ، والاضواء الملونة تملأ العين وتنفطى بسرعة ثم تشتعل
وتتماوج تؤلف فى حركاتها أشكالا بديعة وكلمات مشلعة تعلن عن البضائع
وتهنئ بالعام الجديد ٠٠ أحسست بالبرد يأكل من أقدامى ، ويصعد الى
مفاصلى فاحتضنت قامة الحسنة بجانبى وأسرعرت ذراعى تطوق خصرها
النحيل ، فأراحت رأسها على كتفى ، وداخلنى بعض الدفء . واخرقنا ساحة
« البارى رويال » ومررنا امام « اللوفر » ثم تخطينا الجسر ، وأصبحنا
نمشى بجانب نهر « السان » فى اتجاه الحى اللاتينى ٠٠٠ كانت الاضواء
تختلط مع مياه النهر وتتحد مع المجرى ، والثلج ينبث فى رفق ، ويتراقص
فى الهواء ، والمقاهى تعج بالسمار ، وهم يشربون ويدخنون ويتحدثون
ويضحكون . وكانت اشارات المرور تتحكم فى سرعة السيارات ، وتفسح
المجال بين الحين والآخر لتعبر أممرا ب المارة بين المسامير المغروزة فى
الاسفلت ، شعر « كاتى » منسدل على كتفى ، وعيناها تغمران وجهى ، نتحدثان
بألف بيان . لو أجد لسانى فاقول لها أشياء كثيرة وأدفن رأسى ، واذيب
ثلوج الصمت من حولى ٠٠

كانت الكنيسة الكبيرة غارقة فى الاضواء • واصوات المصلين تعلو
بالاناشيد وتمتزج بالحنان « الاورغن » • • تعلقت عيون الناس المزدحمين
بالابواب والنوافذ فتربع على وجوههم خشوع مفاجىء وأسرعت صديقتى
تاخذنى من يدى وتجرنى نحو المدخل • • • تحولت الى كومة من اللحم البارد
أصطدم بالناس وأغمغم بالاعتذار • • قبل خطوتين من الباب فرقت أصابعنا
فتاة صغيرة تبكى فى حرقة وتنادى أمها الضائعة • • أفقت الى نفسى ، وتراجعت
فى سرعة ، وغبت بين الجموع عن عيني « كاتى » •

ثم عدت أمشى على الرصيف الخالى وأتابع الاضواء ، وهى ترتعش من بعيد
وتتحد شيئاً فشيئاً مع مجرى النهر • •

احمد الهرقام

1967/12/28



طارق مركبة القمر

بقلم : الأنسة زهرة الجلاصي

حواعما الظلام .. وكانا يسيران .. الطريق القفرة تذوب في السكينة ..
كادت تضيق بشروده .. رفعت رأسها تنحسس الأفق .. طالعها نجوم
قليلة .. وأطرقت تتأمل الطريق التي لا تتعب .. تطفنت الى ذراعه تتسلسل
لتطوق عنقها ، فأحاطته بنظرات هادئة ، وابتنىمت في تخايب ، وهي تزيل
ذراعه :

- يمكننا أن نسير دون أن نحيط عنقك بذراعك ..
- فأبتعد عنها دون أن يتكلم ..
- استملت مرأتها من حقيبتها ، وأخذت تمنع فيها النظر .
- أتعكس مرأتك وجهك رغم هذا الظلام ؟
- ومن قال لك : إني أريد أن أرى وجهي .
- إذن ماذا ؟ !
- نجوم السماء ..
- فأبتسم ولم يتابع حديثه .
- ذلك النور البعيد أتراه ؟
- لقد رأيت ... ثم ماذا ؟
- سندرک ذلك النور ..
- سندرک ذلك النور ! !
- لا أريدك ببقاء .
- كنت أحلل كلامك .
- وما هو رأيك ؟

- ولكنى لم أره .
- ألم تقل : إنك رأيته .
- ناولينى مرآتك . وسأحاول أن أشهد نظراتى .
- خذ .. لماذا وضعتها فى جيبك .. انظر فيها ثم هاتها ..
- كلا ستبقى هنا .
- فالتصقت به ، وامسكت بذراعه :
- أرجوك ... هاتها ..
- يمكنك أن تطلبها دون أن تتمرغى على ذراعى كالقطة .
- كالقطة ! !
- ابتعدت عنه غاضبة . واصلا السير .. الظلام ما زال يتفاقم .. كانت ترمقه من حين لآخر بنظرات قاسية .
- النجوم فى السماء قليلة ..
- فلم تصغ الى حديثه .
- أنت لا تحسنين النظر إلا فى مرآتك .
- حدثته بنظرة غابرة ولم تجبه .
- أما زلت تبصرين ذلك النور ؟
- بعد صمت طويل أجابته فى اقتضاب :
<http://Archive.org/details/ta3khilae>
- نعم .
- امتاكدة أنت ؟
- نعم .
- توقف عن السير ..
- مالك ؟
- لا أريد هذا السير ، ولا هذا الضوء المزعوم ..
- أنت مجنون .. يجب أن تسير معى .
- يمكنك أن تسيرى وحيدة .
- وحيدة ! ! أرجوك ... لا تبالغ فى الدلال .
- نواصل السير إذن ، يا فراشتى العزيزة .
- فراشة ؟ ! ! قطة أم فراشة ؟ ؟
- القطة تبحث عن الدفء والفراشة تبحث عن النور . وكلاهما أنت .
- فهزت كتفها فى غير اكتراث . وردت فى ذهول :

- قطة .. فراشة .. قطة .. فراشة .
- أرجوك ... لست مستعدا لتحمل هذا الهديان .
- فساد وجوم .
- أقول لك مرة أخرى : إنى لا أرى هذا الضوء المزعوم ..
- اتبعنى ، وكف عن هذه الثرثرة ..
- أتبعك ... أتبعك ..
- لا بأس . لتكن كلبا ، ولتتبعنى .
- كلبا ! ! ؟ .. ألا تخجلين ؟ لن أسير بعد الآن خطوة واحدة .
- عدنا للدلال .. هيا ! لست كلبا .. لقد كنت أمزح ..
- لا تبالغى فى الإلحاح .. لست طفلا غريرا .. سيرى ولتدركى
- اللانهاية . واتركينى .

- ولكنى لا أستطيع أن أسير .. ما دمت .. ما دمت ..
- ما دمت ماذا ؟
- ما دمت .. لست بجانبى .
- أنت بحاجة الى حراسة كلب أمين ؟
- أرجوك .. لا تسىء الفهم .
- ودنت منه مستعطفة ..
- عدت تتمرغين كالقطة الجائعة .
- فلم تبتعد عنه ..
- إنك تضايقينى .. ابتعدى .. سوف أواصل السير .
- أضيائك .. لم ؟ .. ؟
- كثيرا ..
- فتنهدت مستسلمة ..
- إذن فلنسر .
- وسأتبعك .. أهذه مهمتى ؟
- بل ستسير معى ..
- إننا ندرك الشاطئ .. ألا تحسسين بالاعياء .
- كلا .. الشاطئ ! !
- وهذا الضوء أما يزال بعيدا .

- إنه وراء الشاطئ ..
- وراء الشاطئ ! ! أحس بوحشة ..
- سنتندثر لما نرتقى صفحة الماء ، فنقترب من النجوم .. سحر وروعة ..
- لست رومنتيقيا .. لا أحب النجوم ..
- لا تحب النجوم ! ! إنها وديعة ..
- كالقطط ؟
- أعدنا للتناوب ؟
- نجومك ! ! ألا تحرق الفراش ؟
- الفراش ! وما دخل الفراش مع النجوم ؟ ..
- ألست فراشة ؟ و ...
- أفضل السكوت على أن نعود الى الهزلة المعهودة ..
- وساد السكون من جديد ..
- والآن .. ها قد اجتزنا مياه البحر ..
- الملح تجمد على قدمي ..
- سيذهب بعد حين ..
- هذا يعنى أن المسيرة طويلة ؟
- كلا ... لقد اقتربنا ..
- صحيح ... إنى أرى اللحظة نورا ..
- انه نور تلك المركبة الراسية على الرمال .. لندركها ..
- ندركها ! ! وماذا نصنع بها ؟
- سنركبها طبعاً ..
- نركبها ! ولماذا ؟
- لا تكثر فى السؤال ..
- أجيبى والا لن أسير ..
- الحرافة المعهودة ..
- اسمعنى .. سنركبها ، يا عزيزى .. الى عالم رائع ! !
- عالم رائع ! ما اسمه ؟
- القمر ..
- القمر ! لا أحب نجومنا ولا قمرا ..

- كف عن عنادك ، يا عزيزى .. سترى .. هناك عالم رائع كالامواج الساكنة ..

- الامواج !.. لقد تذكرت .. الملح ما يزال جامدا على قدمى ..

- الملح ! سوف أزيله بيدي ..

وانحنيت تمسح قدميه ..

- لا ترهق نفسك بهذا الانحناء والتلطف .. لا أحب نجوما ، ولا قمرًا -

ولا قططا ..

فقامت غاضبة ..

- أوه ! أنت تبالغ ..

- لا تغضبى ، يا فراشتى العزيزة ... اجلسى لنستريح .. الرمال ليثة ..

- نستريح ! ! ولكن المركبة .. ستقلع بعد لحظات .. لنواصل السير ..

- لتقلع .. مالنا ومالها ! لا تقتربى منها .. أنا أخشى عليك نورها ..

ستحترق ..

- لن أحترق ... إنى أحب ذلك النور وتلك المركبة ...

- ألم أقل لك : إنك فراشة .. والفراش يحب النور وغالبا ما يحترق ..

- لقد طالت هذه الشريرة .. هيا .. لنأخذ مكاننا فى المركبة قبل أن تقلع ..

سنذهب .. سنذهب هناك .. الى القمر .. القمر .. يا حبيبى ..

- القمر .. أؤكد لك انى على أحسن ما يرام وأنا فوق الأرض ..

- الأرض ! كرهت هذه الأرض الحمقاء .. اما هناك فيوجد نور .. نور

ساطع ..

- النور .. النور .. والفراش يحترق ..

- هيا .. كف عن المزاح .. المركبة ستمضى وتتركنا ..

- أما الآن فلن تستطيعى حملى على السير .. قمت بحراستك حتى وصلنا

هذا الضوء الذى رأيته ولم أره إلا الآن .. وأخيرا هذه مركبتك وسيبرى

نحوها ..

- أسير وحيدة ؟ ! !

- ما دمت تصرين على ذلك فلا أستطيع صدك ..

- ولكنى أريدك معى ..

- معك ! ! أكرر لك أنى لا أحب هذا الكوكب الذى تحلمين به ..

- أمضى أنا وتبقى أنت بدونى ..

- أؤكد لك أن هذا يحزننى .
- إذن .. سر معى .
- يا قطتى الوديدة ، لا تلحى فى الطلب .. هذا لا يجدى ..
- وارتمت على الرمال فى ياس :
- لم أكن أتصور أن تصدنى بهذه الصورة .. لكم أنت قاس !
- لم أقصد أن أكون قاسيا معك ، يا عزيزتى .
- والآن .. كف عن هذه التملقات .. لقد طارت المركبة .. انظر .
- يا لها من بشرى ، يا عزيزتى ..
- بشرى ! ؟ أتسعد لشقاءى ؟
- كلا يا فراشتى .. لا أريد أن أراك تحترقين . ولذلك فأنا سعيد ..
- سعيد ! ! .
- أشاحت عنه بوجهها ..
- اما تزالين غاضبة .
- نعم .
- بما أنك تحبين النور .. إنه نور آخر هناك ..
- نور آخر ! أين ؟ لا أرى شيئا! إنك تسيخر منى ..
- إنه الفجر القريب .. الليل بدأ يتزحزح ..
- الليل بدأ يتزحزح !
- هو الفجر .. ألا ترين ؟ !
- إنك لا تريدين رؤيته .. أما زلت غاضبة ، يا عزيزتى ..
- نعم ما زلت غاضبة .. لا أريد فجرك هذا ..
- خذى مرآتك .. انظرى فيها .. ستريه يعكس على صفحة وجهك
- إشراق عذبة .
- تناولت المرأة بلهفة ..
- أوه .. إنى جميلة .. أجمل من أى وقت مضى .. الا ترى ذلك ؟ ! !
- كيف لا أرى ! ! إنك ساحرة ! !
- اقترب منها مطوقا عنقها ، ممعنا النظر فى وجهها الذى فارقه التجهم .
- صدته فى دلال :
- ابتعد عنى .. أنا لا أحب القطط الجائعة .
- قط أنا :

- نعم قط جائع ..
- ونظرت فى وجهه تبحث عن وقع كلماتها فاذا به لم يتأثر ..
- لا بأس ما دمنا قطا وقطة ..
- وحواها بين ذراعيه ..
- لم أكن أدرك أن قبلا لك عذبة ودافئة ..
- لأنها وليدة الفجر يا ، قطتى ..
- غريبة هى .. لقد نسيت مركبة القمر .. إنها سعيدة بفجره ..

زهرة الجلاصى



أولئك القصة التونسية

دراسة

بقلم : محمد الصالح الجابري

لم يعرف الأدب العربي القصة في مفهومها الحديث البعيد عن أسلوب المقامة إلا في القرن التاسع عشر ، حيث اكتشفت القصة كنوع أدبي يستقل عن الشعر والنقد والمقالة - « وكان (1) سليم البستاني اللبناني أول من جرؤ على التأليف ، وقد وضع عددا من الروايات التاريخية والاجتماعية نذكر منها « زنوبيا » التي نشرت متسلسلة عام 1871 في مجلته « الجنان » والتي يدور موضوعها حول الصراع الذي قام بين ملكة « نادر » والرومان في القرن الثالث ٠٠٠ ورواية « ريدور » - 1872 - التي تتناول أحداثها تقع لاميرة أموية تحب ابن عمها عبد المستوفى الذي كان في ذلك الوقت في فسطاط الدولة الأموية في الأندلس ٠٠٠ و « الهيام في فتوح الشام » و « بنيت العصر » 1875 و « فاتنة » 1877 ٠٠٠

وفي سوريا عثر على أول قصة وهي « (2) تكاد تبتعد قليلا عن أن تكون رواية اجتماعية » ولكنها حملت مع ذلك الى الطابع التقليدي في الحكاية « الألف ليلة » براعم العصر الجديد في أدبه وقيمته الاجتماعية ، وهي قصة فرنسيس مراث « در الصدف في غرائب الصدف » ٠٠٠ وقد (3) نشرت القصة في بيروت في كتاب سنة 1872 ٠٠٠ وكتابتها وقعت أثناء حرب السبعين من جراء الحرب الموهلة التي نشبت سنة 1872 بين فرنسا وبروسا ، وما عقب ذلك من الخراب والدمار ووقوف دولاب المعاملات ٠٠٠

ويعتبر نعمان عبده القسطلبي ثاني قصاص سوري يؤلف في القصة برواياته الثلاث ٠٠٠ « (4) التي ملأت مكان الرواية المتسلسلة في مجلة

« الجنان » سنوات ثلاثا بين سنة 1880 و 1881 و 1882 وهي « الفتاة الأمانة وأما » و « مرثية و فتنة » . وهي قصة بدوية تشبه / لولا بعض الروح العصرية / ملحة عنثرة والمهلل . والرواية الثالثة التي قدمها القساطلي ، هي « أنيس » وهي الرواية الأطول ...

وبالمقابل فإن مصر التي كانت مصنع جو أدبي قصصي « أكثر مما كانت منتجة للقصة ، قدمت نماذج « ليالي سطوح » لحافظ إبراهيم ... و « (5) ليالي الروح الجاثرة » لمحمد لطفي جمعة ... و « الوجدييات » لفريد وجدي ... وعدة قصص لأحمد شوقي والمنفلوطي . ثم جاء محمد تيمور بلونه الفني في النهاية ليضع أساس الأقصوصة المصرية ...

ولعل سليمان فيضي « كان (6) أول قصاص عراقي حاول أن ينحو نحوا جديدا في القصة ويخرجها اخراجا يجارى فيه القصص التركية والفارسية والقصص التي قرأ عنها الشيء الكثير » ... وهو لم يكتب غير قصة واحدة هي « (7) الرواية الايقاظية » التي طبعتها الحكومة في البصرة سنة 1919 ، والتي كانت على نمط المسرحيات التي كانت توضع في ذلك العصر باللغة التركية والفارسية للمدارس العثمانية الإيرانية ... وعلى رغم كونها لا تستطيع أن تعبر عن الواقع الذي يعتبر الركش الأول في قصص الحياة ، ولكنها جاءت تعبر عن الهدف الذي يرمى اليه الكاتب وهو تحبيب العلم في ذلك العصر الذي لم يكن يفهم بعد قيمة العلم في حياة الانسان » ... ولم تكن هذه القصة أول قصة افتتح بها تاريخ القصة العراقية باب المدينة فحسب ، وانما كانت أول قدوة للقصص المسرحية في العراق (8) ...

ولم يكن المغرب العربي في هذه الفترة - رغما عن ظروفه ومآسي الاستعمار الذي يجثم فيه - بمعزل عن التيارات التجديدية التي تسربت الى الأدب العربي وأعطته مجالات جديدة ، وفرصة للتجريب ، فمنذ مطلع القرن العشرين تفتحت آفاق الجيل الذي آنتكس بما داهم البلاد ، ووعي صدمة الاستعمار ، فأخذ يتطلع ناحية البحر حيث ما يزال الشرق ريح الآباء والأجداد تتبعها هادرة داعية ملحة ... فتمثل الغرب له مارد علم ويدا من فولاذ تطبق فتخنيق ، والمضارة نتاج جهد وعرق ، وكان الشرق مسرح أحداث ، ويد السلطان تمتد من البلاط العثماني كلما آن لها أن تحرك إحدى الدمي لغرض

ما ، والمصائر بينهما معلقة فى رعونة قائد فرقة أو ربان باخرة حربية ...
وكانت النتائج أن لا أمل فى الخلاص إلا بالأخذ بمكونات الغرب وعلومه
ومعارفه وتطعيم العلوم الدينية بها ، وجعل الاسلام مساوقا للتيارات
الحديثة ... وإنشاء دولة إسلامية واحدة قوية ...

وارتفعت الأصوات هذه من المشرق والمغرب على السواء : جمال الدين
الأفغانى ، ومحمد بيرم ، وعبد القادر الجزائرى ، ومحمد السنوسى ، ومحمد
النخلى وغيرهم ... وحول المنادين تلاميذ ومريدون . ومثلما توجه الفكر
المغربى هذه الوجهة محمولا بعوامل الأواصر العربية والاسلامية ، وساهم
بالدعاة زمنا ما ، نراه الى جانب ذلك يطاول شتى الفنون والأنواع الأدبية ،
ويحاول المجازاة والتقليد ...

وبينما كانت القصة وليدا لم تمض بضعة سنين على حلوله بالأدب العربى
فى كتابات البنانيين والسوريين والمصريين ، آثر أدباء المغرب العربى أن
يأخذوا بنصيبهم فى حلقة الاتصال التاريخية هذه ، وأن يكونوا الكتاب الذين
لا يتهيبون المشاركة ، فيؤلفون فى هذا الفن ويتحدثون ...
« (9) ومن سنة 1905 الى سنة 1939 ظهرت فى المغرب قصص شتى قد
بنقصها التكامل الفنى للقصة الحديثة ، ولكنها كانت على كل حال محاولات
وارهاصات ... ويعد محمد المقرئ (10) أول من تعاطى التأليف ...

وقد وضع سنة 1923 أو بعد ذلك بقليل رواية فى أربعة فصول وهى
« اليتيم المهمل » . وكانت المحاولة الثانية فى الشمال ، فى تطوان على يد
الأديب عبد الحالى الطريس . وأخذت نفس اللون والناحية الوعظية التعليمية
الاخلاقية الصحية ، وكان ذلك فى سنة 1933 . إذ أخرج رواية تحض على
التعليم العصرى فى ثلاثة فصول عنوانها « انتصار الحق بالباطل (11) » .
ثم كانت المحاولة الثالثة ، ولكنها لم تكن من الرواية ، وإنما كانت أقرب الى
القصة الصورية .

وتؤكد سنة 1935 ميلاد القصة العربية القصيرة فى الجزائر ... وفى هذه
السنة « (12) طرح رشيد ، وبتوقيت يكاد يكون شهريا فى مجلة « الشهاب »
قصصا قد وقع بين يدي ست منها . قصص لها أبعادها فيرمزيتها الثورية مرة

وصراحتها أخرى ونظرتها المبكرة الجزئية لبعض المشاكل في المجتمع الجزائري . وكانت هذه القصص بحسب تسلسلها الزمني كما يلي « السعادة البتراء » و « الصائد في الفخ » و « أعنى على المدح أعنك على البناء » و « تموز » و « في القطار » و « بعد الملاقاة » .

ومن الملاحظ أن القصة الليبية (13) قد بدأت محاولاتها الأولى مع بداية الاستقلال ، أعنى بها الفترة التي تتراوح ما بين سنة 1950 و 1955 . إذ في هذه الفترة وجدت ملكات لا تنقصها أداة التعبير كما لا تنقصها في نفس الوقت الاستفادة من اللغات الأجنبية . وهذه المحاولات الأولى ، لا يمكننا أن نقول : إنها ناضجة ، ولكنها كانت تدل على أن جيلا من الكتاب قد بدأ يتلمس طريقه خلال هذه الفترة » . . .

وإذا كان ثمة في هذه الاشارات ، لبعض التواريخ ، ما يبرز القول بأن للمغرب العربي اندفاعاته . وآماله . وتوقه . . . فإن الحقيقة تؤكد الملامح المتشابهة ، والشخصية الموحدة للأدب العربي في بدء انطلاقته . . . وقد دعانا الالبات الى حشد فقرات أوضحت تقارب الفكر التي تنشأ عليها الموضوعات ، وأوضحت تقارب عناوين هذه الموضوعات وأساليب الكتابة عامة في تلك الفترة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولئن اعتبر لبنان رائد القصة العربية في المشرق ، فتونس حسبما تبين المصادر ، طليعة المغرب العربي بما كان لها من حظ السبق في هذا المضمار . ويذهب محمد الصادق عفيفي - الذي ألف عن القصة في المغرب الأقصى - الى أنها ظهرت ما بين السنوات « 1905 - 1939 » من دون أن يفصح عن الغموض الذي لف هذه التواريخ ، وبدون تدقيق يضفي على البحث صفة الموضوعية والاطمئنان . . . ولم يتسن له أن يجد غير رواية « اليتيم المهمل » لمؤلفها محمد المقرئ يقدمها نموذجا للمحاولات المبكرة « 1923 » . . . والقصة الجزائرية يقول الشاعر صالح الحرفي : انها ظهرت حوالي سنة 1935 . أما القصة الليبية فهي - في رأي عبد الله القويبرى - ما تزال في بداية الطريق ، و « متأخرة في ظهورها كثيرا عن القصص المغربية » . . . إذن ، فقد تسنى للقصة التونسية وحدها فرصة الظهور والنشوء في زمن سابق عن هذه المحاولات . . . إذ ظهرت أولى القصص التونسية سنة « 1324 هـ - 1906 م »

فى ثانى (14) مجلة صدرت بتونس ، هى مجلة « خير الدين » لصاحبها محمد الجعايبى ، الصحافى المعروف . ومؤلف هذه القصة ، أو بالأحرى الرواية - كما شئت المجلة تسميتها - رجل أمره عجاب ، لم ينتسب لتعليم منظم ، ولا عرف غير العربية لغة ، ولا عاش مجتمعا عائليا أعطاه مجالا لتوسيع رؤياه : إنه صالح بن عمر سويسى الشريف القيروانى « 1880 - 1940 » من أبناء تلك المدينة التى « لا تزال (15) تتلمس حوائج القرن الرابع عشر ، على مشكاة قرن التابعين المضى بنور الايمان ونخوة العروبة الحالدة » ... « و (16) نشأ فى عائلة قليلة الافراد شريفة المحتد متواضعة النصيت ، فكان وحيد أبويه لم يتغيا ظل عطفهما سواء » ... وانتقلت العائلة الى الحاضرة « وقد درج شاعرنا الى الخامسة فقرأ القرآن بزواية سيدي بن عروس وكتاب سوق البلاط ، ثم رجع الى مسقط رأسه ، وقد استكمل من حياته خمسة عشر ربيعا » وبقي والده بالحاضرة الى أن مات بعد عام من رحيله عنه ، ودفن هناك ... فكان رجوع الشاعر القصاص الى بلده آخر عهد له بالمدرسة ، فلم يجلس بعدها الى استاذ ولا تلقى من العلم كثيرا ولا قليلا ... وان هذا الرجل « الذى (17) نعهده نحن وقد عدناه الناس قبلنا ركننا من أركان النهضة الأدبية ، وعلمنا من أعلام الإصلاح الدينى والفكرى وموجها للشعر الى أسمى مراتبه فى تصوير الحياة القومية والفكرية » وهو رجل لا يبعد من المتعلمين لانه لم يزاول دراسة منظمة ، ولا انتسب الى معهد علمي » .

وكان العصر الذى قدر له أن يعيش خضمه ، محملا بشتى الاتجاهات العلمية ... « (18) التى تفوق بها الغرب على الشرق ، ومحاولة الشرق مجازاة أهل الغرب فى التطور دون أن يفتن المتعلمون الى شر هاوية القائمين عليها » .

أفراد قلائل كانوا وثيقى الصلة بالشرق بواسطة كتبه ومجلاته وجرائده ... وكان الشيخ صالح السويسى رحمه الله من أبرز هؤلاء الافراد القليلين الذين أولعوا بمطالعة ما يكتبه أعلام النهضة الاسلامية فى ذلك الوقت من أمثال جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وتلامذتهما وهم سعد زغلول والمنفلوطى وشكيب أرسلان ومحمد رشيد رضا والشيخ على يوسف صاحب جريدة - المؤيد - التى كانت قد أفسحت المجال لنشر آراء هؤلاء الكتاب والمفكرين .

وفى مدرسة المؤيد تخرج الشيخ صالح سويسى ، وبدعوة من الأفغانى وعيده وتلامذتهما تأثر ، وبهذى أفكارهم اهتمدى ، وعن وحيهم صدر ، وعلى غرارهم ضرب ، وبأسلوبهم افقتن » .

وأناحت له هذه المتابعة المتصلة بما يعتمل فى العصر من انفجارات فرصة أن يتثقف ، ويعى هذه الاتجاهات ، ويشترك فيهما بالجهد الذى بذل وهو الدعوة الى التجديد الإسلامى الذى يرمى الى بعث الإسلام ، وخلصه من الدعاوى والزيف ، والخرافات ليصبح قيام عقيدة متطورة ، وتكوين فكر اسلامى جديد ينفذ الى العلوم الحديثة ويستلهمها ، فكان بذلك « (19) أول كاتب تغانى فى سبيل الإصلاح الاجتماعى » والدينى على السواء ، وكان « (20) رجل فذ بين أهل القيروان يستطيع أن يأتيه بما فيه علاج النفس القلقة بتطلعها الكثيبة بما هم عليه من المنزلة » . هذا الرجل الفذ هو ذلك القيروانى الذى قلما يوجد فى القيروان ، وهو الشيخ محمد النخلى الذى كان علما من أعلام النهضة العلمية بجامعة الزيتونة وركنا من أركان الحركة الإصلاحية « ... »

وما ان بلغ صالح سويسى من العمر اثنتين وعشرين سنة ، حتى نشرت له جريدة - الحاضرة - فى سنة « 1318 هـ - 1900 م » أولى قصائده . ثم امتدت مساهماته الى جريدة « قسطنطين » الصنوبر ، وصدر له بعد 1906 كتابه « منهج البتر فى النظم والنشر » وهى مجموعة مقالات ومقامات مسجوعة تكلفت الجناس والمقابلة ، وعنت بتقليد الاساليب القديمة ، وقد أسماها « المقالات البدوية » و « نصائح وعبر فهل من مدكر » و « نائم ويقظان » وبطلها « أبو العبر الذى يستصحبه الكاتب الى شوارع الأبعاد » وأطراف الديار عملا بقول العادل فى يوم العرض « أفلم يسيروا فى الأرض ؟ » فياتى تارة مدائن غربية ، « وقد حط العز بها رحله ، وضرب المجد بأكنافها سراديقه ، وبعد أن يجوس أنحائها ، ويتملى غرائبها ، ومحاسن مصنوعات ومخترعاتها ، تنتهى قدماء الى أطرافها حيث يشاهد « شيخا بذاحية شرق » الطريق ملقى على الأرض ، وهو فى نومته غريق ، وقد رفع الريح الرداء عن منكبيه ، بأسطا من شدة التعب فى نومه ذراعيه » وبعد أن يحيى « قلت يا ساكن الغرب ، أريد أن أسال جنابك عن حالة هذا المسكين النائم فى التراب نومة الحزن والاكتئاب » - ويأتى صدى الغرب من بعيد مجيبا : « إن هذا الشخص شرقى الوطن غريب الدار ، قدم منذ أيام الى هاته البلاد ، مصحوبا بدف ومزمار يجول بهما فى الطرقات ونحن نشاهد من

أفعاله حركات مضحكات وطالما رأيته يمر على دار المعارف فأنظر له أنا والتلاميذ بعين الاحتقار ، وأقول لهم : **إن الجاهل بالعلوم قد يصل الى درجة هذا الجنون ، ويرمى به الى درك الانحطاط والهون ، وفي المثل الجنون فنون** » .

وفي المقامة الثالثة يقول أبو العبر : « اجتهد في تصليح (21) العلوم الدينية ، واكتسب فوائد المعارف العصرية ، واقصد بذلك نفع الوطن ، وتلك شئنة أهل الفطن ، وارفح عن فكرك حجب الوهم ، ولا تعرض عن العلوم إن غدت الفهم ، وعليك بمطالعة الجرائد والمجلات ، وخذ منها الحكم ، وانبذ الفاسد من الاعتقادات »

ولا شك أننا نلمس بذور تفكيره الاصلاحى ، وانطباع الثقافة السدائية الى استنهاض الشرق ، ودفعه الى كسب المعارف العلمية الجلية في مقامته هذه التى اتخذت مثل القصص والحوارات مما أتاح للكاتب مجالا للتخيل ، من غير أن يحيد عن واجهة الاسلام ، والدعوة الى العلوم العصرية ، والموازنة بين حضارتين تتباينان بمرور الزمن . وهى المعانى التى كرس لها هذا القصص « الرائد » كل منتوجه الفكرى ، من شعر وقصة ونثر ، ولكن بذور القصة تشام عند سوسى بوضوح ليسر عندما يخرج كتابه « فجائع (22) اليتامى والبائسين » الذى جمع فيه مقالات فى البؤس والامتنعانة لحافظ إبراهيم والمنفلوطى ونجيب حداد ، ومقالتين لصاحب الكتاب وهما « اليتيم والنفس » و « منظر من مناظر اليتيم وتغليب الرجاء » . وفى هذا الكتاب الذى أهده للجمعية الخيرية الاسلامية يخاطب وجدانه أحيانا بقوله : « ما هى منزلتك فى هاته البسيطة حين تدعو الكبير والصغير والجليل والحقير الى الاقبال على أمر خطير . . . نعم أنت رجل لك قلم ودواة اذا كسر الاول ونضبت الثانية نالك التعب ، وأجهدت نفسك فى الحصول على غيرهما . يساغينى وجدانى بهذا فأجييه : مهلا : لقد غلظت وما أصبت . إن لى منزلة بشرية فى الحياة تجبر أمثالى على سلوك طريق « **الايقاظ** » لهاته النفس الجموح التى بين يدى » . . . « أنا بشر فاذا كسر قلمي فأنا ادعى بصاحب القلم الكبير والقلب الكبير على ما اصاب اليتيم والفقير . واذا نضبت الدواة فما نضب معين رحمة من القلب الرقيق » ومقالاته اللتان اراد ان تكونا منه مشاركة فى عمل الانتصار للمظلومين تحكى احدهما بأسلوب يشابه المنفلوطيات فى بعض ما تؤديه الكلمة السهلة ، بأنه تذكر ، وهو فى الثلاثين من العمر حكاية مرت بأيام

الصبا ، عندما أخذ بندقية صيد واتجه الى « زريبة » بعض الاخوان للاصطياد وكان بالزريبة حمامتان انضمتا الى بعضهما انضمام الكفين ، فكان منه أن أطلق النار واردي الاب قتيلا وسرب اليتم للعش . وأذهله ما حصل فغادر الزريبة نادما بعد ان أجلى عنها هرا شريرا اراد ان يعبت بالفرخين . وكانت هناك حمامتان احدهما سوداء تأتي لتسرق من العش قشة . والاخرى بيضاء جاءت لتجنوا على العش « هذا ما وقع فى زمن الصبا وانتقش فى صحيفة ضميرى حالة كونى الآن عابرا عقبة الثلاثين من العمر . اذ تذكرت هذه الحادثة ، تحسرت ولعنيت الصيد والتفكير الموصلين الى هذا الحال المؤلم . وأى قلب لا ينفطر . . وأى عين لا تدمع . . وأى عيكل انساني لا يتزعزع وأى فؤاد لا يتقطع اذا تبصر ذو الاحساس فى حال طفل يتيم » .

وبهذه الكلمات تبتدى المقالة الثانية « اليتيم والنفس » وهى تصف يوما « يلفح بحره الوجوه وتضهر شمسهِ الرؤى » ، وقد ذهبت الى تشييع جنازة أحد الأصدقاء فدخلت الدار التى أقفرت من ساكنها ، وخيمت عليها الوحشة من فراق صاحبها ، فرأيت « العظلة » نازلة على نعش استعار اصفرار لونه من وجوه أيتام المحمول عليها « وبجانب النعش طفل كقرخ القطا » لم يتجاوز العاشرة من عمره « ويصف الجنازة والطفل الذى كان يضحك ويستغيت أبى : فى أغنياء المسلمين راقبوا الله فى حال الأيتام ومدوا يد الاعانة لاصلاح شأنهم بين الأنام . . اذا أعرضتم عن اصلاحهم ، ولم تنصروا فى بيتهم وفقروهم من يضمن لكم حسن مستقبل ذرايكم بعدكم » .

ومثابرة الكاتب على اتخاذ الطريقة القصصية طريقا للاصلاح - على الرغم مما عليها من فجاجة وسداجة - يوائم الغاية « الايقاطية » التى يهدف اليها ، ففيها سينطبع استيعاب الحياة العادية ، ومجالها يوفر له مادة خصبه نجدها فى كتاباته النثرية . لذلك نجده بعد مدة قصيرة فقط من صدور كتابه الاول « منهج البتر فى النظم والنثر » . يقدم على تأليف « رواية اجتماعية ادبية نقدية » عدت أول رواية فى تاريخ القصة التونسية - وهى التى يعنىها البحث هذا . . وما التوطئة سوى تحسس للبذور القصصية ، واجلاء لشخصية هذا الكاتب الشاعر .

فى سنة 1324 هـ - 1906 م « صدر العدد السادس من مجلة «خير الدين»

يحتوى على هذه المقدمة القصيرة التى نظن أنها من عمل أسرة تحرير المجلة :
« قد ألف صديقنا المفضل السيد صالح سويسى الشريف القيروانى رواية
تحت العنوان أعلاه ، أدبية انتقادية اجتماعية وقد عهد اليها بنشرها تباعا على
صفحات المجلة . ومن حيث ان الرواية المذكورة أول رواية ألغت بالملكة
التونسية ، فإن صديقنا السويسى يلتبس من حملة الاقلام وزعماء الادب
أن ينظروا اليها بعين الرضا التى هى عن كل عيب كليله ، واليك نصها » :

ولكن من سوء الحظ ان مجلة « خير الدين » تعطلت عن الصدور منذ عددها
السابع ، وحرم الكاتب من مواصلة نشر فصول روايته التى لم يبرز منها سوى
فصلين فقط ، احتويا على ما يقارب « الألفى كلمة » ووجوبا علينا أن نذكر أن
الاستاذ الفاضل بن عاشور كان أول من أشار الى هذا الحدث الادبى ونوه به .
فقد عثرت خلال تفتيشي عن ترجمة صالح سويسى . وبعد اعتدائي للرواية
شخصيا وعن طريق الصدفة عند تصفحي للمجلات الفكرية والادبية فى تونس
اذ يقول : « واستطاع - صالح سويسى - بقوة عاطفته المتقدمة فى سبيل نزعة
فكرية ، هى نزعة الاصلاح الدينى أن ينقل نفسه من ميدان الشعر الى النشر
الفنى ، بل أن يتجه على فتح باب من أبواب النشر الفنى لم يتجرأ قلم قبله على
محاولة فتحه هو باب « الرواية » . اذ نشرت الصحافة فى سنة 1324 بأن
شاعر القيروان قد ألف رواية أدبية انتقادية سماها رواية « الهيفاء وسراج
الليل » . فكانت الرواية أول رواية ظهرت فى تاريخ الادب العربى فى تونس .
وهي وان كانت مقامة على هيكل القصة البسيطة ، ضعيفة العقدة الروائية ، الا
أن أوليتها من جهة ، وابتناؤها على فكرة الاصلاح من جهة أخرى ، يمكن لها
منزلة مهمة فى تاريخ الفكر ونهضة الادب ... »

ومحور القصة حياة شاب نشأ على الفطرة السليمة بعيدا عن العلم
والحضارة . ثم ارتحل فى طلب العلم ، فكانت فطرته السليمة تنفزه مما عليه
المسلمون من البدع ، فكان يتعجب من نقص أعمال العلم وارجاعهم للنفع به هم الذين جمعوا
الى علمهم همة اصلاحية . وقد نشرت هذه الرواية تباعا فى مجلة « خير الدين »
وهي محاولة عجيبة فى حياة مترجما ، صالح سويسى .

وتحملك الرواية منذ الاول الى موطن بعيد .. هناك باليامة حيث تجرى

الاحداث فى جزيرة العرب .. وسواء عجبت أو لم تعجب لهذا الذى لم يبارح حدود وطنه ، ومع ذلك لم يكتب عن مواطن بعيدة . فايماى الكاتب بأن جزيرة العرب هى موطن الدين ، وريم الآباء ، وموئل الاجداد ، هو الذى حدا به الى أن يكتب عنها ، رغبة فى القاء الاضواء وتسليطها على هذا الجزء من الوطن الاسلامى الذى يمثل الهدى والصالح والنسوة ، وهو الى ذلك يفتقر الى « المكاتب » والمدارس .

« ... ولد (23) فى جزيرة العرب ، بضواحي اليمامة ولد لأحد الأعراب الكرام ، فسماه سراج الليل ، وقد سر بازدياده لأنه لم يرنق سواء من قبل ، وكانت والدته سراج الليل امرأة فاضلة عاقلة تركية الأب ، عربية الأم ، تسمى الهيفاء . . فاجتهدت فى تربية سراج الليل مستعملة معه جميع الوسائل الصحية فى حالى رضاعه ونظامه شأن الأمهات العاقلات . وكان والد سراج الليل كثير السفر يقصد الغوص لالتقاط اللؤلؤ ، فسافر مرة لمباشرة حرفته ، فغاص فى البحر ، وأدركه الفرق » .

ويطرق الحبر مسامع الهيفاء ، فتجزع ولكنها تقابل المصيبة بالرضى إذ بقى لها فى سراجها عزاء وسكونى . . . « وكان عمره عند وفاة والده عشرة سنين لا يزال جسمه السليم ينمو ، وعقله يسمو بمخاض تربية الهيفاء الى أن بلغ فى السن كمال البدر ، فرأت الهيفاء مغايل النجابة بادية عليه ، وتأسفت لعدم وجود « مكتب » فى جزيرة العرب ، أو استأذ تدفعه اليه ، وصارت حليفة التفكير طالبة الاسباب التى ترقى ولدها لأوج السعادة ، وتزج به فى فسيح الخير الى أن حانت الفرصة فى ليلة رق هواؤها وصحت سماؤها ، وزهت نجومها ، فجلست على كرسى فى حديقة لها هب النسيم على أشجارها فتمايلت ، وتضوع عبير أزهارها على تلك الأرجاء فتطيت ، وناهيك بصفاء الفكر فى أوقات السحر » (24) .

ونادت الهيفاء ، فهب اليها سراج الليل ، وأجلسته أمامها على منصة وطنقت تختبر إيمانه ، وتنقضى تفكيره :

« يا ابنى أتدرى لماذا خلقت ؟

— لعبادة الله ...

– وما معنى العبادة ٠٠؟

ويختار الفتى الصغير فى مجابهة هذه الاسئلة ، فيجيب :

« يا أماه إن هذه الأفكار السامية يحتاج الشخص فيها الى استاذ يفوض به فى بحارها ، ويكشف له عن غوامض أسرارها » .

فقال الهفاء : لقد دعوتك فى هذه الساعة ، ومرادى أن أرسلك الى مصر لتلتقط من بحار أسانذتها الجواهر العلمية كما كان أبوك يفوض لالتقاط الجواهر الحقيقية ، وجواهر العلوم أغلى ، وغواص بحارها أشرف وأعلى ٠٠ وقد عزمت باعائته تعالى على إرسالك الى مصر بمعية الشيخ محمد رشيد الذى قصد بلادنا فى هذا المصيف » .

وتذكر الأم لسراجها بأن بمصر جمعيتين اسلاميتين ، احدهما الجمعية الخيرية ، والاخرى شمس الاسلام ، وأنها ستوكل أمر اختيار احدهما للاستاذ محمد رشيد ، فمشكرها سراج الليل لأنها ما اختارت مشقة الفراق إلا من أجل فلاحى ونجاحى ، وتنطوى جلستهما الى الغد ، فيقوم سراج الليل الى فراشه ، والأفكار تتناحش ، وقلبه تكاد تنفطر ابتهاجا ، وينهض فى الصباح فيتوضأ ويصلى الفجر ويدعو : ثم يخرج الى الحديقة « يستنشق النسيم ، فحانت منه التفاتة ، فرأى هفاء على ربوة عالية ، جالسة أمام دالية » . كانت تتلو فى ذلك الصباح آيات من القرآن فيقف خاشعا متدبرا ، فتسأل – على الاثر – عن معنى هذا الكلام ، ثم سرعان ما يعودان الى النقاش والمواظ .

« وستكون يا ابنى باعانة الله وكذلك واجتهادك فى طلب العلم سراجا تضىء على أهل ملتك ووطنك فعلى المرء أن يتقن كل شئ . وبذلك يسمى بالرجل الحى ٠٠ تأمل فى حديقتنا هذه فانها ما اهتمزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الا باتقان الفراسة » .

وتدور المقارنة بين حديقتهم المرعية وبين حديقة الجيران التى صوحت أشجارها وذبلت أزهارها ٠٠ وبينما الهفاء وسراجها يتجاذبان أطراف هذا الحديث الجميل ، إذ لاحت التفاتة من سراج الليل الى الحد الفاصل بين حديقتهما وبين حديقة أحد المجاورين لهما بالجانب فقال سراج الليل أنظرى يا أماه ٠٠؟

وإذا بها عقرب .. فتدوس عليها بالنعل . ذلك أن عواقب الإهمال غالبا ما تتسرب الى الجيران والأقربين . « هل رأيت ما ينتج من الجار الجاهل عديم الاتقان يضرب بنفسه وبجيرانه » ويفضى حديث العقارب الى « قسم من أهل جنسنا » يأكلون العقارب .. زاعمين أن في ذلك أسراراً ربانية .

وفي الفصل الثاني (24) : سراج الليل في نفس المكان يسأل أمه إن كانت قد اجتمعت بالشيخ محمد رشيد ، ومتى ستوجهه الى مصر .. فنعلم أن الشيخ إنما هو ضيفهما هذه الليلة .. وستحدث اليه بمحضره ، وعندما قاربت الشمس الغروب بارحاً مكانيهما ليتعهدا مستخدمى الحديقة « فشجرو التفاح يحتاج الى مزيد الحنمة . لأن الشاب المكلف بخدمته كسول لا يصلح للعمل .. وهذا هو الشاب المسمى « حازماً » . ويشرح الشيخ الساهر على رعاية الحديقة كسل الشاب حازم وتهاونه في خدمة الأشجار . ولكن حازماً يأتي في الوقت المناسب . وبمحضره تنكشف سوء نية الشيخ ، إذ المكلف بغراسة القسم الذي فيه شجر التفاح إنما هو ابنه . وتفطن له الهيفاء فتطرد الشيخ والابن معا بعد أن تنقدهما الأجر . وبعد الغداء تهتم بمطالعة كتاب « كيف تربي الأبناء ؟ » الذي أرسله إليها خالها عبد الأزل من الأستانة ، بينما توصي ابنها بأن يقتنيه لطرقات الباب عل الشيخ محمد رشيد في طريقه الى منزلها . « ولا حانت صلاة المغرب قام سراج الليل لقرضه ولا فردغ سمع طرق الباب فذهب الى والدته الهيفاء : وقال يا أماه الضيف احتجبي » ويدخل الضيف وهو يتلو آيات القرآن الكريم ، فترحب به الهيفاء من وراء الحجاب ، ثم « قدم لهما الطعام وهو نوعان خفيفان ، فقال الأستاذ :

وهذان هما جزءا الرواية لحصا عما نشرته مجلة « خير الدين » تظهر من خلالهما حياة المؤلف واضحة ، فهو اليتيم الذي عاش وحيد أمه ، ومات والده في سن مبكرة ، والشوق الى أن يتم تعلمه عاصفا وملحاً - وبهذا التزاوج بين حياتي البطل وكاتب القصة ، حقق لنا المؤلف أمرين : إنه صوّر في هذه المحاولة تجربة معاشة ، وحقق لنا جزءاً من القول بأن الواقعية أصل من أصول القصة التونسية منذ انبثقت وظهرت للوجود . ونقل لنا ثانية أصداء العصر الذي كان يحيط به في استخدام أسماء بارزة واضحة مثل اسم : « محمد رشيد رضا » أحد مناصري مذهب جمال الدين الأفغاني - وقد كانت مكونات الرواية واحداثها شمولية لها أهداف معينة - فهي تنطلق من جزيرة العرب

الى مصر ، وتذكر الهند وتركيا ، ومجموعة من البلاد الاسلامية ٠٠ وحتى انهيفاء فوالدها تركى وامها عربية ٠٠ وخالها عبد الأزل من مستوطنى الاستانة ٠ ذلك أنها جاءت فى فترة تأصلت فيها الدعوة الى الوحدة الاسلامية ، ولم شتات العالم الاسلامى ٠

ولما كان الحث على المزيد من التعلم ، واكتساب المعارف الحديثة هدفا واضحا فى الدعوة الى تجديد الفكر الاسلامى ، فقد بنى صالح سويسى روايته على مضمون العلم والتعلم والعلماء ، التى رأيناها تسود عند سليمان فيضى العراقى الذى ألف الرواية « حياة الانسان » ٠٠ وعبد الحالى الطريس المغربى الذى أخرج « رواية تحض على التعليم العصرى فى ثلاثة فصول عنوانها « انتصار الحق بالباطل » وغيرهما ٠

وقد جرفنى الاعتقاد بأن المؤلف لن يرتضى ذلك المصير الا بتر لروايته ، فيراها تنتهى باحتجاب مجلة « خير الدين » وهو الذى عرف بمشاورته الشديدة على النشر فى كل المجالات والصحف على اختلاف منازعها ، وتعدد أهوائها ومشاربها ، فتعقبت الصحافة فترة ملاحقا هذه الرواية الى أن اطمأن الحدىس وعثرت عليها ، تنشر للمرة الثانية بعد فترة بعيدة عن نشرها الاول ٠ وقد أسقطت المقدمة ٠ واستفيض عنها ٠٠٠٠ وهو ما يكاد يكون تلخيصا للمهدف التعليمى من الرواية ٠ مما يؤكد بأن مؤلفها هو الذى دفع بها الى النشر ثانية وأن التغير الكبير الذى مس اجزاءها من قلم الكاتب الذى عمد الى اعطاء الرواية ارضية تونسسية واستبدال الأبطال من علمائها بأبطال من علماء تونس ، وجعل القيروان غاية القاصدين الى طلب العلم وليست مصر ٠٠ إنها « (25) هدية أدبية الى أبناء المكاتب العلمية من الشبيبة التونسية ، وأرجو من ذكائهم ولطفهم أن يمعنوا النظر ويدبروا معانيها فالعاقل من أمعن النظر وتدبر واعتبر » ٠

قالت الهيفاء : « (26) لقد دعوتك هذه الساعة لأنى أنبتت وأنه قد حل بوطننا رجل قوى الايمان من أهل مدينة القيروان عالم بعلموم الدين خبير بحدوث الزمان مولع بالاصلاح وتهذيب الافكار ، متخاسق بأخلاق أسلافنا الأطهار شيخ عليه مهابة الاسلام فى التدريس والاصلاح العام وقد عزمت بحول الله على ارسالك معه الى بلد الطب لتتقبس من علمه النافع وارشاده العظيم

بعد تنوير عقلك بالعلوم الدينية والاخلاق السلفية ، ويسرسلك الى احدى الممالك الراقية لتقتبس من لغاتها وعلومها العصرية ما تنفع به أمتك فى معترك الحياة ، واعلم (يا سراج الليل) أن تعلم اللغات واجب على كل انسان وقد قال أحد شعراء العصر :

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة
فليس يحفظ دين الا يحفظ لغات

فقال سراج : « سمعا وطاعة لك يا امام ، لانى اعتقد أنك ما رضيت باقتحام مشقة فراقى الا لأمر خطير يستدعى فلاحى ونجاحى فى الحياة الفانية ، واكتساب السعادة فى الحياة الباقية فما اسم هذا المصلح العظيم ؟ »

ف قالت : « أستاذ وهصلح يسمى « محمد النخلى » فسر سراج بهذا الكوكب الوهاج » .

ومحمد النخلى هو أحد علماء القيروان الأفاضل ، ممن عملوا على تنشئة أجيال فى فترة الإصلاح الدينى وتأثر الكتاب به وتعلم منه عليه - فيما يذكر - الأستاذ الفاضل بن عاشور . لأنهما من مدينة القيروان ذات الماضى التاريخى والحضارى المشهود . وفى الجزء المضاف الى الرواية نستأنف مصاحبة الثالوث : سراج الليل والهيفاء ومحمد النخلى « محمد رشيد سابقا » فنجدهما عند مائدة الطعام حيث « قدم لهما نوعان خفيفان » فقال الأستاذ ٠٠٠ النخلى : « (27) يا سراج الليل إن ربة المنزل حكيمة وعاقلة لسبب اقتصادهما فى المعيشة ، وهذا هو الاساس الوحيد لنمو المال وحفظ صحة العائلات . فما بلغ الاسلاف منتهى الكمال الا بالاقتصاد ورباطة الجأش . وتوفرت لهم الأموال والقدرة على تجهيز الحروب والجيوش » ومن حديث عن الاسراف والبذخ والتقتير يعرج المؤلف على لسان محمد النخلى الى حملة على الفساد الذى أظهر جنده ، والاسراف الذى بلغ حده . وهو ينقل لنا صورة للنقمة الشعبية الكامنة فى النفوس حول الاوضاع السياسية فى تلك الفترة ، عن القصور والبنائات والأبواب الفضية . « ولا غرابة » فى هذا فالتناس فى سلوكهم على مذهب ملوكهم ، فقد سمع فى اوقات المصيف ، أن الامير الفلانى ذهب الى باريس ، والآخر قصد الى لندن بقصد « الخلعة » والاستحمام بالحمامات المعدنية ٠٠٠ نعم إنهم قلبوا الاغالب

ولكن في كل ترف ولهو .. قلدوهم في تشييد القصور ، وقلدوهم في الادمان على معايرة الحمر ... وسواء عندهم ارتفعت الامة او سقطت ، عمرت البلاد أم خربت . هذه حالة القوم في مثل هذا اليوم » .

وقد أدانا (!) لهذا البيان يا سراج الليل اقتصاد السيدة والدتك وبساطتها في المعيشة ، والحديث شجون - فقال سراج الليل :

« يتبع »

وتختفي للمرة الثانية الرواية من جديد بهذا الحديث ذى الشجون الذى ينقلت بالكتاب الى سطح الحياة العادية ، ويزيد من تقريرية الرواية وسذاجتها « دون أن نعر لها على بقية » - وإننا لم نشأ قط التعرض الى السقطات الكثيرة والهتات ، والى الاسلوب والمضمون فما كانت غايتنا أن ننقد هذه الرواية ونجلو ما فيها وما عليها . ولكن ههنا الوحيد كان الكشف عن العلامات التى أُرست دعائم أدبنا التونسى ، وتخليص المحاولات السابقة من آكوام النسيان وإتصاف غيرنا ممن عانوا تاريخ أدبنا .. فربما عرفنا بهم مكانتنا من الادب العربى ، وأثبتنا جدارتنا بين الآداب الأخرى .

محمد الصالح الجابرى

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- (1) محاضرات عن القصة فى لبنان : للدكتور سهيل ادريس منشورات جامعة الدول العربية 1957 ص 6 .
- (2) نفس المصدر .
- (3) القصة فى الأدب العربى الحديث - الدكتور محمد يوسف نجم .
- (4) القصة فى سوريا فى الحرب العالمية الثانية - الأستاذ شاكر مصطفى منشورات الجامعة العربية 1957 ص : 88 .
- (5) نفس المصدر السابق ص : 87 .
- (6) القصة العراقية قديما وحديثا لجعفر الحلبى - مطبعة الانصاف بيروت 1962 ص : 163 .
- (7) المصدر السابق ص : 168 .
- (8) المصدر السابق ص 170 .
- (9) النص المغربية الحديثة محمد الصادق عقيلي منشورات مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء ص : 18 .
- (10) الشاعر المرحوم محمد القسرى الذى استشهد تحت سياط المستعمر الفرنسى - يعد أول مغربى تعامل فى التأليف التمثيل وان لم يتخذ حرفة له وانما دعت الضرورة الى تعامله . وكان يتعامل مع سائر أبناء قاس المحبين لهذا ، وأكثر يتهم حينئذ من أبناء جامعة القرويين الى جانب تكوين فرقة « قديما كولاج مولاي ادريس » التى خدمت المسرح المغربى خدمة جليلة وعرفت باسم السوق القاسى .

وقد وضع محمد المقرئ رواية في أربعة فصول كانت حديث المجالس في ذلك الوقت عنوانها « البيت الملهل والمثري العظيم » سلك فيها مسلك نجيب الحداد في مزج الحوار بالأبيات الشعرية ومثلها فيما بعد السوق الفاسي في كثير من المدن المغربية كما مثلها في فاس مرتين - وكتب محمد المقرئ رواية « العلم وتناجيه » التي مثلت في فاس بإشراف مؤلفها الذي كتب روايات عديدة أخرى كان تمثيلها يقع في الدور بمناسبة الأعراس والأزواج . ومن الأنصاف أن نذكر أن محاولات محمد المقرئ كانت بدائية وليست من التأليف المسرحي الذي نعرفه الآن .

عن مجلة المسرح التونسية « أكتوبر - نوفمبر 1959 » عبد الله شقرون

رئيس القسم التمثيل بإذاعة المغرب

- (11) القصة المغربية لمحمد الصادق عليفي ص : 20 .
- (12) صالح الحرفي - جريدة المجاهد الجزائرية - العدد 357 - 5 مارس 1967 .
- (13) القصص الليبي عبد الله القويري مجلة « الشعب » التونسية (أفريل 1967) .
- (14) أول مجلة صدرت في تونس هي مجلة « السعادة العظمى » سنة « 1903 » وقد أنشأها العلامة التونسي محمد المقرئ بن الحسين - وتعتبر « خير الدين » ثاني مجلة تختص بالأدب والثقافة وتصدر في تونس في فترة مبكرة من مطلع القرن .
- (15) الأدب التونسي في القرن الرابع عشر مطبعة العرب تونس 1928 م - 2 - ص 231 .
- (16) مقال للشاعر القيرواني الشاذل عطاء الله في الذكرى العاشرة للرحوم صالح سويس .
- (17) أركان النهضة الأدبية بتونس « فضيلة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور طبع في رجب 1381 » .
- (18) الأستاذ محمد الحيدري « الشيخ صالح سويس المصلح الاجتماعي » جريدة الأسبوع ديسمبر « 1951 » .
- (19) كتاب الحركة الأدبية والفكرية في تونس - للعلامة الفاضل بن عاشور طبع جامعة الدول العربية 1955 ص : 70 .
- (20) أركان النهضة الأدبية ص : 55 .
- (21) طبع هذا الكتاب بمصر سنة (1324 - 1906) .
- (22) صدر هذا الكتاب عن المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط « 1911 » .
- (23) العدد السادس من مجلة خير الدين - رجب 324 - ويذكر الأب - ديمير سمان - في عدد مجلة إيبلا - الخاص بستين سنة من الفكر التونسي الصادر سنة 1955 بأن مجلة خير الدين لم يصدر منها سوى سبعة أعداد فقط .
- (24) العدد السابع شعبان « 1324 » مجلة « خير الدين » .
- (25) نشرت القصة مرة ثانية بجريدة القيروان في حلقات متسلسلة ابتداء من العدد 15 - 20 جمادى الأولى 1339 هـ - 30 جانفي 1921 م - تحت عنوان « شؤون عامة » مع تنقيحات على الأصل المنشور بمجلة خير الدين .
- (26) هذه الفقرة من الإضافات التي تختص بها الأجزاء المنشورة بجريدة « القيروان » وهي تعطي صورة عن التغير الذي طرأ على الرواية في استبدال الأبطال والإماكن .
- (27) جريدة القيروان 19 مارس 1921 .

الدائِرة المربعة

بقلم : محمود التونسي

طرق الباب • من الذى طرق الباب ؟ من يستطيع ان يطرق بابه ؟ كيف يطرق الباب ؟ يدق عليه • بضرب من الخارج ايدانا بان هناك احدا يريد ان يدخل ، بان هناك احدا يريد ان يفتح له •

ليس كل من يطرق الباب يريد ان يدخل • يخبر • يحذر • يقول شيئا • الى • الخ • من الذى طرق الباب ؟ الحادمة • أحد الاصدقاء • أحد الاقارب • أحد النكرات • • من يستطيع ان يطرق بابه الطويل ، بابه الحشب ، بابه النحاس ، بابه الحديد ، بابه المعدن ، وبابه ، الباب ذو القردة الواحدة المشددة الى اطارها السميكة المنحوت ، المبنى فى الحائط مباشرة ، الحائط المسطح ككل الجدران •

كيف يطرق الباب ؟ قبل ان يطرق الباب يجب ان يكون شيء يفهم منه انه باب • وهذا يجب ان يفتح على دار او دكان او مصنع او ادارة الخ • • ان يكون مغلقا على شيء مجهول ، او على شيء معروف •

ولكنه أخذ فى التغير بعد غلق الباب • كل شيء خلف الباب هو حتما مجهول لان كل شيء يتغير • ولكن بعد غلق الباب من أين لنا ان نعرف الكيفية التى يتغير بها •

- حسنا • اطرق الباب •

- ولكن يجب ان يكون هناك باب •

- هناك عدد لا نهائى من الابواب *
- وهناك امكان لا نهائى فى كيفية طرقها *

الباب كى يطرق يجب ان يقف امامه موجود وخلفه أحد ... الطارق هو الذى يثق الباب ، وهو الذى يقف امام الباب ، هو الذى يثق الباب بيده اى بشئ حساس او ما هو اكثر حساسية فيه كالجرس مثلا * على كل يدقه ، يضربه ، يؤذيه الى ان يحدث حسا يسمع فى الداخل *

ماذا ؟ .. هذه أيضا اصوات من الخارج *

سوف لن اقرأها ، سوف لن افتحها .. سوف لن أسمع .. سوف لن ..

كان عازما على ان لا يخرج قبل أن يرتب كتبه كلفه ذلك ما كلفه من الجهد * كلفه ذلك ما كلفه من الوقت * كلفه ذلك ما كلفه من السجن * كلفه ذلك ما كلفه من الغربة * كلفه ذلك ما كلفه من الزمن * كلفه ذلك ما كلفه ..

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

« هذه الكتب التى تمردت سوف اهزمها ، سوف أنظمها كما أريد ، سوف أفرس عليها النظام الذى أرضاه * كفانى بلبلة وفوضى .. أفلاطون فسوق الرتاج .. سارتر تحت السرير .. المتنبي فى المطبخ .. كاموا .. لا أدري .. طاغور فى بيت الحمام ، الكتب هنا وهناك فى بيت النوم ، فى المطبخ ، تحت السرير ، فى القفة الخ ... »

منذ الصباح الباكر أخذ يجمع الكتب ويكدسها ... بذل فى ذلك جهدا كبيرا ! لانها كانت تختفى وراء الاشياء * كانت تخافه ! لانه لا يعرف كيف يكلمها ، وبأية لهجة ، وفى اى اعتدال * كان يجرى وراءها .. يجرى ويلهث ..

ورن جرس الهاتف *

هى - آلو

هو - من هنا ؟

هى - أنا
 هو - ومن أنت
 هى - ومن أنت
 هو - أنا ! ليس لى وقت أضيعة
 هى - الا تعرفنى ؟
 هو - لا
 هى - وكيف لا تعرفنى وأنا أعرفك
 هو - وأين عرفتنى
 هى - (همسا) عمتى أنت ! لا تعلق السماعه ... سوف أعود اليك

« صوتها جميل ، رخيم ، فيه كثير من الاغراء » كان قد شعر بهذا • وفكر
 فيه بينما يده تشد السماعه الى اذنه وهو يترقبها •

هى - آلو !
 هو - آلو !
 هى - ها قد أتيت
 هو - أهلا •
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هى - من أنت ؟
 هو - لقد قلت : انك تعرفيننى •
 هى - انى أمزح • ألا تحب المزاح ؟
 هو - (تنحنح) يظهر أنك تجيدينه
 هى - وأنت

هو - أنا شاب طويل القامة ، أزرق العينين ، أشقر الشعر ، قوى البنية ،
 أبيض البشرة ، ذكى أعزب •

هى - (تضحك)
 هو - غنى ، مثقف
 هى - أوه ! هكذا من المرة الاولى
 هو - وما فى هذا ؟

هى - (ضاحكة) لا شىء •

هو - آ •••

هى - عمتى أنت • لا تعلق •

* * *

صوتها جميل ، رخيم ، حلو ، لذيذ ، شهى ، فيه العمق ، وفيه الطراوة ،
وفيه الذبذبة • خدره ، ملك عليه مشاعره ، جعله يفكر فى أشياء ما كان ليفكر
فيها فى مثل هذا الوقت ، وهو يجابه الكتب المتمردة • ولكن الان عليه أن
يوصل اللعبة الى اخرها •

هى - آلو !

هو - آلو !

هى - لقد أتيت •

هو - أهلا وسهلا •

هى - ماذا كنت تريد أن تقول ؟

هو - من أنت ؟

هى - تريد أن تعرفنى !

هو - نعم

هى - (همسا) عمتى أنت • لا تعلق سوف أعود اليك •

(صمت)

* * *

هى - آلو !

هو - آلو !

هى - ها قد أتيت •

هو - على الرحب والسعة •

هى - المعذرة ! لقد تركتك تترقب كثيرا •

هو - من يترقب سماع صوتك لا يمل •

هى - (بدلال) شكرا (بصوتها العادي) تريد أن تعرفنى ؟

هو - نعم

هي - استمع ... آه عمتي أنت
(صمت قصير)

هي - آلو !

هو - آلو !

هي - انظر من النافذة ... سوف تراني

هو - حسنا .

وضع الساعة . وهم أن يقف ، فرن جرس الهاتف

هو - آلو !

هي - لماذا غادرتني

هو - لاذهب الى النافذة

هي - طيب تستطيع أن تعلق الان



نهض ... وضع الساعة ... خرج من مكتبه قاصدا النافذة .. الممر يفصل مكتبه عن الصالون ... أين توجد النوافذ ... طويلا عليه أن يخطو ثلاثين خطوة .. لم يفكر في هذا ... ولكنه كان يستمتع وقع اقدامه على القاعة ، حسا يتضخم صدها في ذلك الممر المرتفع الطويل ... لم يحدد خطاه ... ولم ينتبه الى ذلك الحس الذي كان غالبا ما يرهف اليه السمع الى أن يضيع ويتلاشى دون أن يدري أين يضيع ويتلاشى .

وصل الى الصالون ... وضع يده على النافذة رقم (I) ... فتحها ... نظر ... أين هي ؟ السماء صافية ... الشمس توشك أن تتوسط صحنها الأزرق ... ان شقته مرتفعة ... نفخ يده من النيار ، ومد بصره الى الجنوب ، وشعر بضيق في نفسه وهو ينظر اليه ممتدا أبعد من بصره . وشعر ببرودة في أعماقه ، وهو يستنشق هواء الساخن ... شاهد ... ولكن شعر وكأنه لا يستطيع أن يكون شاهد حقا تلك الأبعاد المتزامية وتلك المسافات التي تتكدس في أعماقه فتملاها وتخنقها ! ... ما كان عليه أن يفتح النافذة ... كلا . ولكن أين هي ؟ ... نظر مليا فلم ير الا الجنوب مكانا تكدس فوق امكانه وبعدا يلف ابعاده لفا ... حط نظره على الصحراء ، وحط نظره الى الواحات ؟

وتبع نظره قوافل الابل * ثم التفت الى الوراء ليبرح بصره في الظل ؟ ثم
اعاد البصر فلم ير الا الجنوب *

ولى بسرعة ليفتح النافذة رقم (2) ..فتحها .. ثم نفض يده من الغبار *
- أين هي ؟

انه الوسط .. لم ير فتاة * وانما هو الوسط تحت الشمس .. ونظر
مليا .. ليس بوسعه ان ير فتاة من هنا .. الشقة مرتفعة جدا .. والوسط
يمتد بوعاده وجباله وسهوله .. جف حلقه وعيناه تلبسان ذلك المنظر ؟
فالتفت الى الوراء ليبرح بصره في الظل ثم اعاد البصر فشعر وكان بصره
يتفتت وينتشر مع أشعة الشمس وهي تنتشر جافة في السماء غبراء * وضع
يديه على الحديد ، واتكأ عليه بكل ما يزن ، وكأنه يريد ان يحطمه * ثم ولى *
فتح النافذة رقم (3) ... نفض يده من الغبار *

أين هي ؟

انه الشمال .. مده بصره فلم ير الا الشمال .. الشمال .. ولى ليفتح النافذة
رقم (4) ... فتحها ونفض يده من الغبار *
انه الساحل .
أين هي ؟

لم ير الا الزيتون والبحر * أوشكت مناظره الداخلية ان تمحى عند ما
تلطخت عيناه بالازرق والاخضر *

وبينما كان السؤال يلح (أين هي) ؟ سمع رنين جرس ، فذهب الى
الهاتف مسرعا *

هو - آلو !

هي - آلو .. هل رايتنى ؟

هو - لا ...

هي - عجبا *

هو - أين أنت ؟

هى - فى دارنا •
هو - ومن أية جهة أستطيع أن أراك ؟
هى - واقفة على سطح دارنا •
هو - ... طيب ، ها أنا ذاهب
هى - اسرع ••

وضع السماعه •• وقف •• مشى •• خرج من المكتب •• عبر العمر ••
وضع يده على باب النافذة الأخيرة •• فتحها •• نفخ يده من الغبار
أين هى ؟

* * *

السطوح قريبة من النافذة • والنافذة مفتوحة على مصراعها • مربع كبير
من الشمس دخل الشقة •• وشقته يفرها الظل من جميع جوانبها •• وقف
فى المربع •• وقف فى الشمس • وانحنى الى الامام ، فغمرت الشمس
نصفه الاعلى أيضا •
لم يلتفت الى الوراء ليرى بصره فى الظل • وانما فكر فى أن يضع
نظارته السوداء •

لم يفعل هذا • ولكنه وضع يده على جبينه وتركها حيناً من الزمن وظل
بصره مستريحاً فى ظل راحته ••• مذ بصره مداً طويلاً على ذلك المنظر
فامتدت السطوح امامه فى لون يغلب عليه البياض ، سوى لطخات ملونة
متسخة أو ناصعة ••• لعله تأثر البعد ، فراها هياكل والوانا مضطربة • أو
لعله تأثر الشمس فبدت له هياكل مائعة والوانا باهتة •

أخذ ينتقل ببصره من سطح الى سطح •• من هى ؟ البنات كثيرات •
وأغلبهن ينشر الملابس فوق السطوح • ترى من هى ؟ • واقفة على سطح
دارنا • وأين هو سطح دارنا ؟ • السطوح كثيرة ، والبنات كثيرات ،
وأغلبهن ينشرن الملابس تحت الشمس • لفت نظره سطح من السطوح نشرت
فوقه ستائر كثيرة ملونة • وفجأة انفرج الستار الأزرق على الطريقة
الايطالية فى رفع الستائر المسرحية ، وخرجت من ورائه فتاة ••• أشارت

اليه اشارة خفيفة فعرف انها هي .. هم أن يشير اليها . ولكن ما الفائدة .
نظر اليها مليا .. يبدو أنها جميلة .. قالها في نفسه . ثم مسح شفته
العليا بشفته السفلى ، وشفته السفلى بشفته العليا . أما هي فلم تلبث ان
اختفت وراء الستائر . نظر اليها ، وهي تختفي ، فران السكون على نفسه
بينما ظل قلبه يخلعها خلعا ... لم تبق في مخيلته الا ثلاث لطخات من الضوء
ملونة ... السفلى أخضر « فيروناز » والثانية أصفر ساخن . وأخرى صغيرة
سوداء . اما حجمها وشكلها ونظامها فاحساس باهت .

التفت الى شفته فوجدها دامسة .. اغمض عينيه ، ثم فتحها فوجدها
ملأى .. بالظل .. ملأى .. ملأى بالسكون . وانصت .. الجرس يرن ..
طنين في أذنيه ... ذهب الى الهاتف .

هو - آلو !

هي - آلو ... هل رأيتني ؟

هو - انك جميلة جدا .
هي - شكرا . اتى خارجة الى بعض الشؤون .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هو - الى أين ؟

هي - الى اللقاء ..

هو - الو .. الو .. الو .. الو .. الو ..

(صمت)

* * *

وضع السماعة ... الى اللقاء . وأين هذا اللقاء ؟ في الشارع طبعاً . كل
يوم أقول : غدا سوف أخرج ، ولكنني لا أخرج ، لأن الغدا لا يأتيني الا وهو مصفر
الوجه ، وكأنه الامس ، وقد عاد ميتا فأقول في نفسي : سوف أخرج قبل أن
أرتب كتيبي .. أقول في نفسي : ما الذي سوف يحدث اذا خرجت .. أقول اذا
خرجت وتركتها بلا نظام : سوف لن أستطيع أن أعود . سوف أبقى في
الحارج الى الابد . وكيف أستطيع أن أكلم الناس ، وكتبي مبعثرة وأقول في

نفسى : ان اول من يعترضنى سوف يعحقنى بعينيه .. سوف أصبح كالنملة أمامه . سوف يمسخنى ولا أستطيع شيئا .. « صمت » ، ينظر الى منظره الداخلية .. غدا سوف أخرج .. يخيّل الى اننى سوف أخرج من نفسى وأقول فى نفسى : ان من يخرج من نفسه هل يستطيع أن يعود ؟ .. قد يعود وقد لا يعود ، قد « صمت » يعود ومع الشمس ، وقد يعود أعمى . وقد لا يجد الطريق . وأقول .. : سوف لا أخرج قبل أن أرتب كتبى ... « صمت » لعله ممنوع ... لعله ... على أن أخرج . فمن لم يستطيع تنظيم كتبه عليه ان يخرج « صمت » من لم يستطيع تنظيم كتبه ممنوع عليه أن يعيش فى نفسه .

وأقول فى نفسى :

يوما ما سوف يطرق الباب ، وسوف أخرج أنا وأفتحه .. فأجد الشرطى واقفا . سوف يقول لى « صمت » :

إنك سارق
إنك تسرق حياتك
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سوف يدفعنى الى الخارج

ثم أقول فى نفسى .. : كلا ! سوف أنظم كتبى ، وسوف أنزل الى الشارع مرفوع الرأس . ثم أقول : هل كل من فى الشارع قد نظم كتبه ؟ .. كلا . انهم يمسخون بعضهم بعضا . فى كل مجلس تجسد الممسوخين والمستمرين .. هذا ينظر الى الآخر بكيفية ما فيذب كالملح . وهذا يكلم هذا بلهجة ما فيسجد له . وأقول فى نفسى .. وأقول فى نفسى : على كل حال انهم .. انهم شجعان .. يملكون حياتهم ... يواصلون تنظيم كتبهم تحت الشمس . ثم أقول : لعله من الاحسن ان املك حياتى وأعيشها فى الشمس خير من أن املك من نفسى وأعيش حياتى فى الظل ... على كل حال انهم يستطيعون ان يحبوا . ثم أقول فى نفسى : على أن أنظم كتبى .

« صمت »

ينظر الى مناظره الداخلية :

يوما ما سوف أجد نفسي في الشارع • وسوف أكلمها •• وقد تكلمني •
وقد لا تكلمني • وقد أجدها فارغة لاحياة فيها •• انه هكذا على كل حال •

« صمت »

« ينظر الى مناظره الداخلية » •

محمود التونسي

1967 - 7 - 7

* * *





بقلم : ابراهيم الاسود

الركن شبه مظلم فى غرفته الفقيرة ، وكر الذباب والناموس والعنكبوت .. محتوياته التافهة التى تشاركه وجوده مبعثرة فى الزوايا باهمال .. لوحاته الغالية مصلوبة الى الجدار بغير ما عناية .. والقاعة لم تكنس منذ شهور تراكم عليها الغبار ، وانتشرت على اديمها بقايا السفاير الميته .. فبدت مبقعة بشمى الالوان كخارطة مبعوجة من وسطها لعالم فوضوى التخوم ، ضبابى السمات ..

كل شىء مهمل هنا .. كل شىء مقرف .. لكانها قبر كبير .. قوقعة أموات مهجورة ، يعبق فيها الموت ، وتنتجع فى أرجائها ذرات السل تتكتل ببطء ، وتزحف ببرود ، لتكتسح عظامه الرقيقة المنخورة .. لتوهن جسمه الغض .. لتلهل قواه .. لتمتص دماؤه .. لتلفظه فى النهاية وجها أصفر بلا حياة .. الموت يترصده فى كل لحظة .. شبحه الكامن فى الزوايا المظلمة يتحفز للانقضاض عليه .. ليحيله رمادا ، تتكوم حوله الديدان .. تلتقط منه ما يفيدها .. ما يغذيها ..

واستهلكه الهلع .. والقرف .. والغثيان .. ودون أن يتحرك من فراشه ، امتدت يده الى كوب الماء ورشف منه جرعة .. وقبل حلول اولى القطرات فى جوفه داهمته نوبة سعال فائكة ، احمر لها وجه ، ودمعت عيناه .. استمر يسعل عدة ثوان شعر خلالها بأنه سيتقيأ امعاءه .. يتقيأ قلبه .. وكل ما يحوى جوفه لكنه تقيا دما أسود ، على بلاط. غرفته الأسود ، وأحس بدفق الدموع يتضاعف فى عينيه ، وبدوار عنيف يميع رأسه ، وألم واخز فى قلبه ، ألم قاهر يهم بسحقه ..

تحول الى المغسلة .. فتح صنبور الماء عن آخره ، فتدفق الماء بوحشية فوق رأسه وعلى رقبته ، ووجهه . ثم انزلق بميوعة ليبتلعه فم البالوعة ... جف وجهه بمنديل عتيق قذر . ثم انزلق في فراشه ، وقد تكسوم نصف الغطاء الحشن على ساقيه ، بينما انطرح نصفه الآخر على حصيرة مغبرة عجوز ، تمددت بتهالك كسول على البلاط القديم ، وقد تيبست تجاعيدها ، وتآكلت أطرافها ..

عادت عيناه تجوبان جدار الغرفة المقابل .. تجوسان عبر ثقبه وشقوقه .. لتستقرا أخيرا على لوحة قديمة ، باهتة الألوان ، اطارها أسود كالظلام في حجرته عند منتصف الليل .. ووسط الظلام انتصبت جرة صفراء ، حشر داخلها شيخ هرم ، لا يبدو منه سوى رأسه .. تعكس عيناه البارزتان ، نظرات مشحونة بالرعب .. والقلق .. والاستسلام .. استوحاها من قصة ليبرند للو .. وأقام معرضا لها مع بقية لوحاته ، ليشتري بتمتها دواء ونظافة بتهالك كسول على البلاط القديم ، وقد تيبست تجاعيدها ، وتآكلت أطرافها .. والشمس ..

إن وجود الشمس أمر ضروري .. وقد قال له الطبيب :

(يجب ان تحزم أمتعتك وترحل) ..

<http://Archivebeta.sakn.it.com>

قال له : (إن بقاءك في هذه الغرفة مدة أخرى معناه الانتحار) .

فرفع اليه عينين فزعيتين ، وتساءل :

- لكن الى أين ؟

أجاب بلهجة تقريرية :

- الى مكان نظيف .. لا تغيب عنه الشمس .

فعاد يسأل ..

- ومن يقوم بدفع المصروفات ؟ ..

- أنت بالطبع ..

- لكنني عاجز عن ..

قاطعه في حدة ..

- هذا ليس من اختصاصي ..

سأله بتهكم ..

- ما اختصاصك إذن ؟ ..

أجاب بلا اكتراث ..

— ان أبين لك الطريق .. وأن تسير بمفردك الى النهاية ..

فطاطا رأسه ، دون ان ينبس ..

* * *

امتدت يده الى علبة السقاير ، فألفاها فارغة .. كورها في يده ، ورمى بها في القاعة لتتضمم الى أخواتها .. ثم قام بتناول ، وارتدى ملابسه في كسل .. وخرج ..

كان الشارع يعبق بروائح عطر مستوردة .. وعلى الجانبين اصطفت السيارات الأنيقة في انتظار أصحابها المرفهين .. وعلى الرصيف يموج الناس كالذبذب .. يحاذونه ويعارضونه .. لا أحد يشعر بوجوده أو يابه له .. إنهم يبدون ، وكأنهم ذاهبون الى أمكنة معينة .. متجهون نحو هدف معين .. مملؤون بالحماس والنشوة .. ليس بينهم من يجرجر رجليه بكآبة ، وينخر جسمه السل ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتمتت شفتان سميكتان :
— الخطأ يأتي من البداية ، فالأمور لا تسير وفق متطلباتنا ..
فقاطعتهما شفتان رقيقتان ..
— بكل تأكيد ...
عادت الشفتان السميكتان تقولان :

— لنفرض أنها اليوم على ما يرام ، فهل يعنى هذا أنها ستظل كذلك حتى الغد ... ومن يضمن بقاءها هكذا حتى الغد ؟
— لا أحد ...

لم يعرف عما يتحدثان بالضغط .. إلا أن الأمر واضح ... لا بد أن تكون زوجته .. لا بد أن يكون غنيا هذا الرجل .. لا يبدو أنه مريض .. مسلول .. يستدعى ان يلهث برؤية المارة .. في حياته كنوز وكنوز .. وفي انتظاره وعود كثيرة ..

ولاحقته أصوات غامضة ..

- إن كل شيء يتغير .. يتهدم ..

- كلا .. هذا هراء .. فعندما يستسلم الناس للكسل والمجون .. فإن العالم يفقد حيويته .. ولا يعود ثمة مبرر لوجوده ..

- وهل ثمة مبرر لوجوده ..

- بالطبع .. حتى إذا خلا من المعنى .. فإن هذا لا يعني أنه عيشي ..

- ما هذا الكلام !! هل أنت مجنون ؟

- أنا مجنون لأنني حقيقي ، أيها الزائف ...

استوقفه هدير سيارة مجنونة ... تملكه الاضطراب ... ولم يعرف
لنفسه وجهة ... وجد نفسه بلا شعور يركض في الشوارع ، وهدير
السيارات يلاحقه ، يسد عليه منافذ الهروب ، وكركرة العجلات على الاسفلت
الصلب ، تصم أذنيه الضجيج يعلو .. يرتفع .. إنه يلهث كالملدوغ ،
كمن يجلدته مئات العبيد بالسياط .. ولي هاربا .. كفه تخفى العالم من أمامه
كفى لا ينعكس شيء في حديقته المذهورتين <http://Archiv>

وسكنت جميع الأصوات فجأة .. لم يعد يسمع شيئا إلا اصدااء كلمات
جرفاء ، ورطانة غامضة .. لم يع منها شيئا .. كان يجول ببصره الغائم في
الفضاء الرحب .. في السماء البعيدة المغطاة بالسحب حتى الأفق وبلا مطر ..
وغمغم .. (سماء غريبة) .. ولم يعد يرى شيئا ..

حين فتح عينيه تملكه الاندهاش ... كانت الغرفة بيضاء كالشمع ...
لا أثر للوحدات ومحتوياته ... وعجب أكثر حين رأى الشمس تتسلل من بعيد
عبر النافذة ... أين هو ؟ ...

سمع طرقا خافتا على الباب .. ثم انفرج عن وجه حسناء ترتدى البياض ..
اقتربت منه .. طوقته بنظرة حانية .. وسألته بلطف ..

- هل أنت بخير ...

لم تسمع إجابته ... تناولت رجله ، وطوقتها بضمادات جديدة ... ما
الذي أصاب رجله ؟ ... أوصته ألا يحركها حتى تعود • وخرجت بسرعة كما
دخلت •

ورنا الى الشمس بعينين هادئتين ... لأول مرة يتمتع بالشمس ...
لكنه دفع اثنى غاليا ... لا بأس ... إن لكل شيء ثمننا ... وثنى الشمس أن
تدوسه سيارة مسرعة ... سائقها مهووس ... ومراقبو السير غفل ...
يجيدون استجواب النساء فى ليلة مخمورة ...

ووجد نفسه بلا شعور يبتسم ...

إبراهيم الأسود



الساعة

بقلم : نافلة ذهب

البطحاء مترامية الأطراف ، تطوقها الأشجار ، كما تطوق المقاعد الحجرية مسرعا رومانيا ، وعلى الحائط الطويل ، تتكى ساعة مستديرة ، ذات عقارب سوداء حالكة ... العقب تتحرك وتزحزح معها ساعات وأيام وسنوات ... الزمن يتزحزح بتحريك العقربين ... وفي الصباح الباكر يمر العملة والطلبة أمام الساعة فتشرب أعناقهم ليتطلعوا إليها فيحشوا الحصى ان كانوا متأخرين ويتدرجوا الهوينى ان كان الوقت ممثدا امامهم ... وعند قدمى الساعة تصدر أحكام الحياة ؛ فهناك تضرب المواعيد فى كل دقيقة ، وفى كل ساعة • زرافات تمضى وأخرى تجبى كرواد هذه الفانية ...

الساعة الثالثة ! شمس دافئة يلمع تحت أشعتها بلور الساعة ... بينما تمضى العقب حثيثا تأكل الزمن ، وهى تتطلع الى الساعة ثم تسترحمها بينما ترتجف الشفتان ... ألم يأت بعد ؟ سؤال طرحه متمسك بقربها • ألا أعوضه ؟ تلتفت اليه وفى عينيها حنق وتحد • ثم تعود الى الساعة لتشاهد عقربها ، وهى تشير الى الدقيقة الخامسة بعد الثلاثين • السعادة تتلاشى مع مرمى الساعة ... يدان مرتعشتان تمسكان بعنف على القفازين • لقد أزاحتها قبل أن يأتى ، حتى لا يترقب طويلا لمس يدها • وتسارع دقات قلبها • أين هو ؟ لماذا لم يأت ؟ هو هكذا لا يأتى فى الموعد ؟ هل ستتقربه أكثر من ربع ساعة ؟ لقد ضبط لها موعدا هنا امام الساعة فى الثالثة إلا ربعا ... تبا لهذه الساعة اللعينة • هى أساس حزنها وفشلها • وتحس بالفيرة تلسعها • انه لا يفكر فيها هى • لا • إنه يسعى إلى أخرى ... وتنظر ما حولها فى هلع ، واذا بتكتكة الساعة تتضخم فتملأ الساحة • ويخيل اليها أن الناس كلهم

يسمعون هذه التكتكة ويسخرون منها هي ، تلك التي تتسرقب بعد مضي الوقت ... يا لها من ساعة خبيثة ! كم رأت من لقاء وابتهسامات عذبة ، وأيد متشابكة ، ودموع تغزو الوجنتين ، وعتاب خفي يظهر في العينين ، ثم الغضب وربما الفراق ! !

الساعة في مكانها تشاهد كل شيء وعقربها تتحرك لتطمس سعادة بريئة ، وأحلاما هادئة ساذجة ...

الثالثة وعشر : حسبها ! ستذهب . وتمتد رجلها ، ستدوس الأرض في ملل ، وتولى الساعة ظهرها . وتسير الى الامام ، بينما يأخذ مكانها شاب . ترى هل سيتسرقب طويلا مثلها ؟ الدنيا مواعيد وملاقة تشع وتنطفئ كفوانيس سحرية ... وتتخطى البطحاء ، مسرح خبيثها ، وفي رأسها ألف فكرة ، أفكار حائلة سوداء كعقرب الساعة المستديرة ... الهاتف ... العتاب ، الفراق ... تبا للزمن ... للمواعيد المضبوطة ... للساعة التي لا ترحم ولا تتأخر ...

... اليوم اكتسحت البلدة عاصفة شديدة . وكانت في طريقها تشاهد ركاما من بلور الواجبات على الأرض . المارة يظفرون اليه فيبتعدون ، والريح تعصف بشدة .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كم ستتسرقب يا ترى ؟ لقد صفحت عنه ذلك اليوم . عادت تجر خطاها الى البطحاء وعادت تتسرقبه . حرب مع الزمن ، مع الساعة المستديرة ... كم ستسخر منها الآن ! ... سترتفع عقربها المستقيمة هازئة . لماذا ! لأنه لا يستطيع أن يأتي في الوقت المحدد ؟ وهي ! ... ألا تضيق بالآوقات المضبوطة ، ليت الزمن يمتد . ليته ينقش هكذا كما تنقش الساعة .

عبرت البطحاء تنظر الى الارض . إنها لا تريد أن تواجه عدوتها الساحرة . كانت تدوس أوراق الشجر التي عبثت بها العاصفة فتمنت لو تدوس الساعة عوضها ، فتحطم زجاجها اللامع تحت نعلها . وانتهت الى الحائط حيث وقفت . ورفعت بصرها . ثم أطبقت أجفانها بسرعة ، وأعادت النظر وشبهت ! الساعة تحطمت ! ... أجل . لقد حطمت الرياح الزجاج الذي كان يحميها وتمزق جسمها العاري ، بينما قبض العقربان على الساعة السادسة والنصف ...

غضبت ، كيف ستترقبه ؟ كم من وقت ستمكث هنا ؟ وفجأة أحست بنشوة غريبة تغزو جسمها ، فتلهل وجهها بينما انفجرت شفتاها عن بسمة عريضة ، منتصرة ... أين تلك الساعة الشامخة ، ذات التكتكة المصممة • تكتكة لا تنتهى ، وحركة لا تزول ؟ عقاربها التى أعياما الزحف مع الزمن انكسرت •

وتوقفت عن سيرها منتشية بتحطيم الساعة وانزاعها أمام العاصفة •

أمعنت النظر فى الأشجار حولها كأنها تبحث عن يشاركتها فرحها • وأحست بالطمأنينة • الزمن يمتد أمامها فى هذا المساء بلا قيد • سوف تعود اليها سعادتها الضائعة • مكثت طويلا ولكنها لم تكن قلقة ولم تر متسكعا • وانما رأت شيانا ينظرون الى الساعة ويضحكون ، يتبادلون النظرات الجذلى ، ساخرين من الساعة المحطمة ، اذ لم تعد تجديهم نفعا • • • ويأتى هو • وتمتد اليد تصافحه ، ويطل عليها الوجه الباسم فى حنان • ويرتبك • يريد أن يعتذر :



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– أتيت متأخرا • • •

وتمسك بيده :

– متأخر ؟

– متأخر ؟ وهل هناك ساعة ؟

وتشير بأصبعها الدقيق الى جنة ملتوية تتأرجح على الحائط كجبل المشنقة • فيضحكان ، ويطوقها بذراعه ويسيران الهوينى وقد امتد أمامهما الزمن ، فلم يبد هناك غضب على فوات الموعد ولا غيرة تسلب الطمأنينة ولا عتاب •

نافلة ذهب



تقديم وتعليق وانتخاب : عز الدين المسدنى

ننشر في هذا العدد مقتطفات متنوعة وواسعة من « قصة فيديورة » . وهي رواية غرامية أدبية تهذيبية تمثل الحب العائلي في أجلى الصور « كما جاء في غلاف الكتاب » . وهي مترجمة من طرف « أحد محبى النهضة الادبية التونسية » . ولعله محمد العربي الجلولي مؤلف قصة « اليد البيضاء » حسبما أكد لنا ذلك الأستاذان البشير الحنقى ومحمد الصالح المهدي . و « اعتنى بوضعها في ديباجة لطيفة محمد الجعابى مدير جريدة « الصواب » . وقد طبعت هذه القصة بالمطبعة التونسية بتونس العاصمة سنة 1325 هـ الموافق لسنة 1911 م . وتشتمل هذه القصة على مائة وتسبع صفحات من القطع الصغير . وهي مفهومة فى المكتبة الوطنية تحت رقم : 66.573 »

والملاحظ اننا حاولنا الرجوع الى المصادر الفرنسية الأصلية التى اعتمدها الناقل المجهول فى ترجمة هذه القصة . فعدنا أولا الى مسرحية فيديورا (I) (FEDORA) للكاتب المسرحى الفرنسى فيكتوريان ساردو (Victorien SARDOU) (1831 - 1908) . لكن تبين لنا بعد المطالعة والمقارنة والبحث أنه لا يوجد أى شبه بين « فيديورة » و « مسرحية ساردو » اللهم فى العنوان . بل ان الفروق بينهما تتمثل فى :

(I) ان « فيديورة » هى من نوع الرواية (ROMAN)

(1) انظر 1908 L'illustration Théâtrale 94 - مفهومة رقم (470 PER) بالمكتبة الوطنية .

- (2) بينما « مسرحية ساردو » هي من نوع الدراما (DRAME) .
 (3) ان الاحداث والشخصيات والمقدمة والمكان والزمن في كلا العاملين مختلفة ومتباينة .

ثم واصلنا البحث عن الاصول الفرنسية « لقصة فيدورة » في « موسوعة لاروس للقرن العشرين » (2) .

فلم نعثر لها على أثر .

غير أن أمرا استرعى انتباهنا في قصة « فيدورة » وهو حادثة غرق السفينة التي كانت تنقل بطلة القصة الى فرنسا . فذكرتنا بحادثة حقيقية وهي غرق سفينة « ميدوز » (La Meduse) . وقد استغل هذه الحادثة عدد كبير من أدباء فرنسا وكتابها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ورجحنا أن المترجم المجهول قد يكون نقل قصته هذه عن رواية ألفت في تلك الفترة وربما تكون نقلا لسرواية السمنديل (La Salamande) للروائي الفرنسي « أوجين سو » (Eugene Sue) معاصر « بلزاك » (BALZAC) و « ستانندال » (STENDHAL) . أو ربما تكون أيضا لمسرحية درامية ألفها « دينواي وديمرين » (Denoyers et Demeryen) التي مثلت سنة 1839 بباريس .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والغالب على الظن أن « قصة فيدورة » مقتبسة عن كثير من الروايات أو المسرحيات الفرنسية ؛ لأن فيها خلطا كبيرا في سرد أحداثها ، ووصف مواقفها وشخصياتها ؛ ولأن مواضيعها متنوعة الاتجاهات فمنها ما هو رومانسي محض ، ومنها ما هو واقعي ، ومنها ما هو كلاسيكي (بالمعنى الأدبي الفرنسي لهذه الكلمة) . ويدلنا هذا على أن « المقتبس » كان له اطلاع شبه واسع على أدب القرن التاسع عشر الفرنسي .

أما « الديباجة الأدبية اللطيفة » التي أشار إليها محمد الجعابى في عنوان « القصة » فهي تتمثل في أغلب الأحيان في ترصيع النص بشعر أبى الطيب المتنبى وأبى العلاء المعرى . وإننا لنعجب من هذه الديباجة التي يتسم أسلوبها بالركاكة والثقل والتكلف والتصنع ، كما نعجب من الأغلاط النحوية والصرفية والتركيبية الكثيرة في هذه « القصة » .

(2) انظر المجلد الرابع من موسوعة لاروس .

من هو محمد الجعايبى ؟

وعلى كل ، فان محمد الجعايبى هو الرائد الاول للادب التونسى بنشره قصة « الهيفاء وسراج الليل » لصالح سويسى فى مجلة « خير الدين » سنة 1906 ، وهو الكاتب الاول للمسرحية التونسية . فقد ألف فى سنة 1911 « السلطان بين جدران يلدز » ، وأصدرها فى نفس السنة ، ومثلتها فرقة ابراهيم حجازى المصرية فى نفس السنة أيضا . وها هو فى « قصة فيدورة » يشجع مترجمها (أو مقتبسها أو مؤلفها) فيتبناها وينشرها باسمه .

ومحمد الجعايبى (الذى ولد بتونس العاصمة سنة 1878 وتوفى 1938) من اكابر الصحفيين التونسيين القدامى ، وقد تخرج عليه الاستاذ الهادى العبيدى رئيس تحرير صحيفة الصباح اليوم . فقد اسس جريدة « الصواب » الاسبوعية سنة 1910 واسس « خير الدين » الشهرية سنة 1906 . وكانت اول مجلة تونسية مصورة . لكنها لم تدم طويلا . وترأس تحرير جريدة « الزهرة » سنتي 1937/1938 . وشارك فى تحرير صحف تونسية أخرى منها « لسان الشعب » و « التقدم » .

وكان محمد الجعايبى من الرعيل الاول من الدستوريين . فلقد انتخب فى مؤتمر قصر هلال عضوا بالمجلس المو للديوان السياسى فى مارس 1934 ، بعد ان التحق بالزعماء المنفيين - كباش حائبة ومن معه - الى اسطنبول سنة 1912 ، وبعد أن قدم تقريراً عن وضع الصحافة العربية بتونس الى رئيس جمهورية فرنسا عند زيارته الرسمية لبلادنا سنة 1911 .

وصاحبنا شاعر نشر قصائده فى « الصواب » . وهو كذلك من اصحاب الآراء الحرة فى « المرأة » وتعليمها وتحررها وفى « نهضة الامة » وفى « وجوب اصلاح المحاكم الشرعية » ، فى ذلك التاريخ المظلم . وكان يتسم تفكيره السياسى بالواقعية وبعيد النظر ، وبالتحليل المعقول للاحداث . كما أكد لنا كثير من أصدقائه الاحياء وتلاميذه ومن عرفه عن قرب .

وقد خلف لنا محمد الجعايبى مقالات سياسية واجتماعية وحتى اقتصادية مطولة ما زالت مغبوبة ، واجب على الدارسين النظر فيها وبحثها وإخراجها الى النور .

ومهما يكن من أمر فإن « قصة فيدورة » ان لم تكن تضاهي « آخر عقد بنى سراج » (3) لمحمد المشيرقي من ناحية صفاء الترجمة والاسلوب والتعبير ولا تقارن « بالساحرة التونسية » (4) من حيث الواقع التاريخي والتقليدي المدروس ، ولا حتى تقف بجانب « الهيفاء وسراج الليل » (5) لصالح سويسى والقصص الموضوعة والمنقولة الاخرى التي صدرت اثرها ، فانها بدون شك تمثل بدء الحركة القصصية في بلادنا ، بما في البدء من تعثر وتردد وارتباك ، كما تجسم توق الرعيل الاول من كتابنا الى تركيز هذا اللون الجديد في الادب التونسي الحديث حسب اعتقادهم .

وفي نهاية التقديم لا يسعنا الا شكر من اعاننا على تقديم « فيدورة » وبالحصوص الاستاذين البشير الحنقى ومحمد الصالح المهدي .

عز الدين المدني



قصة فيدورة

وقعت هاته القصة بباريس منشأ الوقائع الغربية ودار العجائب . وهي أن رجلا من عائلة كبيرة بتلك العاصمة عريقا في المجد ، صاحب ثروة عظيمة ، ومعارف كثيرة ، فارسا ، شجاعا ، بارى في الرمي والمارزة ، وزاد على هاته الأوصاف الحميدة التي قلما اجتمعت في رجل حسن الخلق والخلق . ولم يكن له قبل ذلك أدنى ميل لتعشق النساء ، رغما عن كثرة تردده على المحافل ، والمتنزهات وأماكن الخلاعة التي يجتمع بها السيدات على اختلاف أجناسهن وطبقاتهن في المجد والغنى والحسن والبهاء فاتفق ان وقع نظره ذات ليلة بمسرح « لوبرا » الشهير على امرأة حسنة الوجه ، بديعة الشكل ، فأعجبه كمال جمالها ، ونضارة وجهها ، وترنح قوامها وقد امتلكت بنظرها اليه لبه ، وأوقعت في شراك المحبة . فما راعه الا وقد هام بحبها ، وانبعث يبحث عن صدف جوهرها ، ولسان حاله يقول :

تشرب قلبي حبها ومشى به
تمشى حميا الكأس في جسم شارب
ودب هواها في عظامي فشفها
كمادب في الملسوع سم العقارب

فأتاحتها الاقدار بعد طول اختبار انها امرأة
ايطالية أتت من ايطاليا الى العاصمة الفرنسية
يحف نور كهربائها حاشية وخدم ، وأن لها لقباً
شرفيا يدل (عند الافرنج) على طيب العنصر ،
وشرف المحتد وأسمها « فيدورة » . وبعد أن علم
من أمرها ذلك طفق يفكر فيما يسلكه للحصول على
أمنيتها . فرأى أن لا مندوحة له عن طريق
المكاتبة اذ ربما كانت مطية أمان بما تعرب به عن
حالة حب صادق الوجدان . فأخذ يكاتبها بما قد حل
به من الجوى ، ويستلين قساوة اعراضها عن رهين
الهوى . فما زادها ذلك الا نفورا . ولم يرد له منها
جواب يسليه من داء الغرام ، وألم الهيام . ولما عيل
اصطبارها وكاد ينكص بخفى حنين لو لا مثابرتة
على خطته وتعلقه بأذيال الامل أجابته بالمكتوب
الآتى :

سيدي ،

قد مزقت مكتوبك الرابع والعشرين من غير أن أعيره نظرة وأمنحه التفاتة . ولا شك في كونه مثل غيره / (ص 5) يتضمن شرح المحبة ، وفرط الهيام ، وما أشبه ذلك . فاتركني من خاطرك حيث لا سبيل لما ترومه وتهواه . فكأنني بك كمن يحاول نسلا عند عنين .

أما فيدورة فما لبثت بعد ذلك ألقا ، وبارحت باريس راجعة لمسقط رأسها باليرمو . وتركته أسير الهوى ، ضعيف الأمل والقوى . ولا أدري إذا كان فاز بملاقاتها بباريس أولا . بيد أنه يفهم من المكتوب الذي سيمر بك أنه فاز باجتماعها وهاك مضمونه :

ليتك كنت هنا يا حبيبي ، فتنظر لهاته الديار الأنيقة والاثار الرومانية العتيقة ، وتقذح من زناد تاريخ ووقائع هاته القصور الشاهقة والديار الرائعة .

بليرمو في 18 يولية سنة 1840

« فيدورة »

(ص 6) عند ما اتصل بهذا المكتوب طار عقله ، وطاش لبه ، وأسرع بالسفر الى البلاد الموءاء اليها

يهزه الشوق الى ملاقة حبيبته ، وقد قوى أمله
 بلقيها بما استخرجه من خلال مكتوبها من آيات
 التعطف ، ومظاهر التلطف . وبعد سبعة عشر يوما
 وصل باليرمو ، وتوجه توا لقصرها الكائن بأطراف
 البلاد يطير به الشوق ، ويختلج قلبه سرورا بقرب
 ملاقاته لمالكة فؤاده ، وجالبه أرقه وسهاده ، فسأل
 عنها اول خادم لقيه ، وسلم له بطاقة الزيارة ، فقبله
 بالترحاب والحفاوة . وبعد برهة خرجت له بنت
 ودعته للمكث بغرفة الانتظار بداخل القصر . وما
 لبث هناك حتى أتته بنت أخرى ، وقالت له بكل
 تلطف واحترام : ان سيدتى ترفع سلامها وتحياتها
 اليك ، وترغب منك أن تسمح لها بالذهاب لأمير هام
 جدا (وفعلًا قد توجهت واستخرجت عن عجل) فقال :
 لماذا لم (ص 7) تسمح لي أن أراها قبل توجهها على
 الاقل أو أرافقها ؟ فقالت له : انها لا تلبث الا قليلا
 وتعود . ودعته ان يختار من أقسام القصر ما شاء
 لنزله . فلم يصغ لقولها . وبقي في انتظار ربة
 الدار الى ان نسخ الليل آية النهار ، وهو في ذلك
 الاثناء يردف السؤال عنها اثر السؤال . وبينما
 هو كذلك اذ اقبل عليه خادم بيده ورقة فناوله اياها
 فأسرع الى قراءتها . واذا ما يأتي : لا تترقبني أيها
 الحبيب مساء اليوم . ولا يذهب عن فكرك أنى غير

مفكرة في شأنك أو أنى أحس خلاف ما تحسه . وقد
أذنت أتباعي أن يتلقوا أوامرك ونواهيك . فأنت
اليوم سيدهم ومولاهم . وهذا القصر قصرك .

وبينما هو يفكر في أمره ، وما سيؤول اليه حاله
في معترك الغرام اذ دخلت عليه الفتاة التي
اقتبلته اولا وفتحت له غرفة الانتظار . وقالت له :
يا سيدى ، قد حان وقت الاكل فالمرغوب (ص 8)
منكم ان تشرفوا بيت الطعام .. فاستيقظ كأنه
مغمى عليه . وكلل رغبتها بالنجاح . فقام ودخل
غرفة الاكل . ولكنه جلس على المائدة بدون ان
يبدى حراكا أو يتناول ولو نذرا من الطعام وكيف
يتناول الطعام من يهدد حياته الغرام ويزعزع
اركان اصطباره . بل اخذته سنة الحيرة والتفكير
شأن حملة لواء الهوى الذين ضعفت منهم القوى
بمقاساة ألم النوى . ثم قدمت له القهوة التى تشبه
سوء حفظه فى السواد . وبعد ذلك رام ان
يستريح قليلا فى غرفة النوم . فسأل الخادم عن
الغرفة فدلّه عليها . فدخلها وأوى الى الفراش
مؤملا ان يذهب النوم شغله انشاغل ، ويريح
باله الكاسف بخروجه من عالم الاذى وهو يقول :
فضيلة النوم الخروج بأهله

من عالم هو بالاذى مجبول (ص 9)

ولكن قد تعاصى النوم على جفنيه . ومن للعاشقين
بالمنام ؟ وقد حلف السهاد ان لا يفارق أجفانهم .
ولما أعياء التناوم ، ولم ينم رغما من الاتعاب التي
قاساها في السفر الذي هو قطعة من العذاب ، نزل
من الفراش وقلبه يخفق ، وفؤاده يضطرب . فدنا
من احد النوافذ ، وفتحها . وكان الليل معتكرا
والافق حالكا ، والسكون أخذ مأخذه ، بحيث لم
يسمع الا صراخ الحيوانات وأنين المحبين ، وزفرات
العاشقين ، وكانت النافذة مغلقة على بستان قصر
مالكة حشاشته فيدورة . وبينما هو في تلك الحالة
يستنشق نسيم الصبا الذي يصدوي أسي العشاق ،
ويشبه في الضعف والوهن أجسادهم الضئيلة
وأرواحهم الغليظة ، ولم يفتر عن التفكير في حبيبته
وسبب مغيبها مع وعدا اياه بالحضور في أقرب
وقت ، ويتخيل ذلك الجمال الرائع والحسن الفائق
الذي قلما استحوذت عليه امرأة . وكان (ص 10)
يتمثل امام عينيه كأنها تمشي في خلال الشجر الذي
تحت النافذة ، وكأنه يرى عينيها النجلاوين
الفاكتتين بحباب القلوب ، وشعرها الكثيف يهزه
النسيم ، فما شعر الا ويد وضعت على كتفه فالتفت
واذا بفيدورة صاحبة القصة واقفة وراءه واضعة
اصبعها على فمها تشير عليه بالسكوت . وكان

شديد الاشتياق لمشاهدة طلعتها فلما رآها أسرع
فى تقبيلها ، فدفعته بلطف ومجاملة . وقالت له
بصوت غير مجهور : عزيزى تأكد انك تبارح هذا
القصر ، ولا مندوحة لك عن ذلك الساعة . فقال
لها : كيف يمكننى ذلك ، وقد أسعفت بملاقاتك
يا منتهى أملى ؟ فقالت له : ان كنت صادقا فى دعوى
المحبة ، فبادر بالانصراف فقال : الموت أحب الى
مما تدعيننى اليه . وكيف تسمح نفسى بفراقك
بعد الملاقاة التى عزت منالا وصعبت مراما ؟
فقالت له : كأنك (ص II) لم تدر ، ما هو الخطر
الذى سيعرض لك فى هاته البلاد التى جر فيها
السخط كلاكه . فلا بد أن تغادر هذا القصر فى
هذه الليلة . فأبى ذلك ، فأكدت وغبتها بالالاحاح .
ولم يزل هو يعارضها ، ويصر على المكث ، وقد هان
عليه ما عسى ان يحل به من الاخطار التى أشارت
اليها ، شأن المحب الصادق . فصرح لها بأنه يحفل
بمصارعه الاخطار فى هواها ، وأنه يغير الموت
الاحمر على فراقها الأسود . وبعد ذلك سألتها عن
حقيقة الخطر الذى أومت اليه . فأجابته أن وجوده
بقصرها هو الخطر بعينه فقال لها : يا عزيزتى ،
وأنيسة روحى ، فلتكونى على علم أنه لا سبيل
للانصراف . وأخذت تبكى وتنتحب وتقول فى

نفسها : يا رب هب لي كلاما جزلا وقولا فصلا
 أغالب به اصراره . وأخذت تارة تبيكي ،
 وأخرى تتضرع له وتتوسل ، حتى قال لها : انه
 يرضى بخروجه من (ص 12) قصرها ولكن على
 شرط أن ترافقه . فأجابته بعدم امكان ذلك ،
 وتعذره . واذاك استراب في صدقها . وظن انها
 تعرفت بغيره ، ولهذا السبب تروم صرفه ، وان كان
 هو ممنوعا من الصرف . فقال لها : لم أدر ما علة هذا
 الالاح والتصميم في ابعادى عن منزلك ؟ وما هو
 الخطر الذى تزعمينه ، وقد تعاصى ادراكى على فهم
 عاقبة آخر أمر هذه المسألة . فأجابته : انك لا تجهل
 أنى لست ممن يرمى بمثل هاته التشبهات والنقائص
 وفاضت عيناها بوابل الدمع وتضاعفت حسرات
 الأسف من فؤادها الحزين ، ولسان حالها يقول : أنا
 ان عرفت بحقيقة الامر أخاف عليه ، وان كتمته
 أخاف منه . فقال لها : يا سيدتى ، ان تريدى ان
 أذهب عن فكرى هاته الظنون ، فما عليك الا أن
 ترافقنى الليلة لمبارحة هاته الديار ، ونذهب
 سواء الى فرنسا العزيزة بلاد الحرية ، ولا يخطر
 ببالك انه (ص 13) يمسننا هنالك أحد بسوء .
 فقالت له : هذا متعذر بل أبعد من اصطياذ العناء
 فقال لها : ومفارقتك أبعد من ذلك ، وأصعب :

وجلس حذوها ولما لم تجد وسيلة لاقتناعه قامت وأخذت بيده ، وقالت له : قم أرافقك ، وما قدر الرحمن سوف يكون . فقام وأخذ بيدها فوجدها أبرد من الثلج وأكثر ارتعاشا من أفئدة عشاقها ، وذلك من شدة خوفها ، وهلعها . فخرجا معا من البيت ونزلا من العلو الى حيث البستان ، وكان في القصر بيت مخصوص بالاسلحة قد مرا عليه فأخذ منه سيفا ، وتقلده في الحين . واعترضتهما خادمة فيدورة . ففتحت لهما بابا غير اعتيادي . فسارا في البستان تحت جناح الظلام ، وهي ماسكة يده لتدله على الطريق . فلم يسيرا الا قليلا حتى وقفت ، وقالت له : هل سمعت شيئا ؟ فقال : لا وزادا في السير ، وحيث لم يبق لهما الا شيء قليل للوصول لمخرج (ص 14) البستان اذ سمعا صرخة اطلقت بيد بارعة في الرمي أصابت الرجل وحده ، بدون ان يلحق فيدورة أدنى ضرر رغما عن كثرة الاشجار المتكاثفة وحال الظلام . فسقط على الارض . وفي الحين أسرع الى افتكاك فيدورة منه التي لم تزل ماسكة يده شأن المحب المخلص ، والعاشق المتهالك .

التعريف

بالافراد التي لها علاقة بهاته القصة .

(ص 29) هاته القصة وقع دورها الثاني ببلد بولونية الفرنسية الواقعة على شاطئ البحر .
فأينا من المناسب ان نتكلم على تلك البلاد من حيث الموقع اتاما للفائدة .

بلد بولونية هي بلد من احسن منتزهات المصيف وآبهر ما يراه الناظر من فخامة البناء والزخرفة ، واتساع الطرقات ، وتنظيم الديار على نسق بديع واحاطتها ببساتين عربية وفرنجية على شاطئ بحر المانش فوق هضبة ، بحث ان كل ديارها مطلة على البحر محيطة بثلاثة جبال . وهوأوها حسن ، نقي . وهي مأوى لاعظم العائلات الباريسية وللانكليزية (ص 30) أيضا يأتونها وقت المصيف ليستخلصوا من شمسها اللطيفة ذلك الهواء النقي المغذى للروح ويروا منظر البحر البهيج . فصادف أن العام الذي وقعت فيه هاته القصة كثر وفود الناس لتلك البلاد بكيفية لم تعهد من قبل حتى لم تبق بها دار أو بيت من بيوت البحر شاغرة نخص بالذكر من هاته العائلات العديدة العريقة في التبذخ والاسراف أسرة مروان . وهي متركة من أم العائلة الكنتيس مروان (الكنتيس هو لقب شرفي كالمركيز والبارون) ويدخل في ضمن هاته العائلة ابنة فريدة في الحسن تسمى برانجير . نزلت هاته

العائلة بقصر فخيم البناء حسن المنظر خارج البلاد
على الطريق المواصل لباريس المسمى بطريق سان
آمار . وهو ايضا مطل على البحر ترى من أعلاه
شواطئ جزائر بريطانيا اذا كان (ص 31) الجو
صافيا . وهاته الكونتيس مروان المتحدث عنها لها
أبناء غير برانجير التي هى على غاية من الفطنة ،
وحسن الخلق ، وتوقد الفكر بأنوار المعارف . أما
جمالها فانه رائع ، ولا مبالغة ان قلنا : انها فاقت
كل النساء اللواتى أتين لبولونية فى تلك السنة
رغما من كثرة عددهن . وعلاوة على ذلك ، فان فى
ملامحها ورائق بهجتها ما يدل على أنها من بيت
عريق فى الجيد ، مغمور فى الشرف . كما يرى
الناظر انها رافعة وأشهباء متميزة ، متمجبة
بجمالها ، مفتونة بحسنها ، مكشوفة الشعر . اذ
أنهن فى ذلك العهد كن يبقين المحيا بصبغته
الطبيعية على أسلوب البدويات اللواتى أشار اليهن
أبو الطيب بقوله :

فدى ضياء فلاة ما عرفنا بها

مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

وكانت برانجير هاته متى دخلت المحفل
اشتغل (ص 32) الناس بحسنها . وكان يصاحب
أسرة مروان فى تلك البلاد أحد أقاربها يسمى

فرار . وهو رجل له معارف واسعة ، و ثروة طائلة
ذو حزم ونشاط أفضيا به للخفة والطيش وشدة
التسرع للأشياء بدون ترو حتى صار يعثره أحيانا
ضرب من البلاء . وكان هذا الرجل محبا لركوب
الخيال ، والفروسية . وله دعوة في ذلك طويلة
عريضة . ولكن مع كل هاته الصفات الحميدة ، فانه
كان مهذارا ماجنا ساخرا . وله محبة قلبية لقريبته
برانجير . لكنه يجتهد في كتمانها ، ويؤمل أن
يكون له حظ في قلبها . وهاته الفتاة تحب المجون
والمداعبة . ولهذا تكثر من السخرية مع فرار .
وفي الغالب تعترض عليه ، وتنتقد أعماله خصوصا
إذا أكثر من الكلام والهنر .

فاتفق ذات يوم أن أم برانجير الكنتيس كانت
خارجة (ص 33) من بستانها في عربتها مصحوبة
بابنتها . وكان فرار أمامها . فمرت بهم عربة تجرها
أربعة من جياذ الخيل . ولكنها قد مرت أمامهم
كالبرق الخاطف أو أسرع . ولو لم يسرع سائق
عربة الكنتيس بالتخلي عن الطريق لداسته العربة
المشار إليها . ويظهر بحسب القرائن أن تلك
العربة قادمة من جهة باريس بها رجلان ، أحدهما
نظر لبرانجير نظرة واحدة أثرت عليها تأثير
الكهرباء في الاجسام ، حتى انها مكثت طول

الطريق تفكر في أمر ذلك الرجل الذي نظر لها :
ومن هو ؟ وما سبب ذلك التأثير الذي استحوذ
عليها ، وشغل بالها ؟ ولم تشعر لغوصها في بحار
التفكر بالسخرية والمجون التي كان يستعملها
فرار السالف الذكر طول الطريق ، أو اكثرث بما
يقول ، حتى انها مهما سألتها أمها عن علة سكوتها
وكثرة تفكرها اعتذرت لها بآلم خفيف ألم برأسها .
واستمر الحال (ص 34) كذلك الى أن رجعوا من
التفسيح والجولان .



(ص 44) الرجل المجهول هو المغرم بفيديورة الذي
رأيناه أولاً بباريس عند تعرفه بفيديورة ثانياً
بباريس لما ضرب بالرصاص وعفى من جروحه
وعرفنا ملاطفة الطبيب له وتبليغه اياه مكتوب
فيديورة . وتركناه يقرأ المكتوب ثالثاً رأيناه قادماً
من باريس الى بولونية . وهو الرجل الراكب
بالعربة التي تجرها أربعة من جياذ الخيل التي
كادت تدوس برانجير ، وان لم تدسها حسيماً فقد
داستها معنوياً . رابعاً رأيناه لما اشترى الفرس
الذي (ص 45) ترددت في شرائه بستة آلاف
فرنك . خامساً رأيناه عند فحصه لقطعة الخمسة

فرنكات . سادسا رأيناه أخيرا عند ما انقذ
برانجير وأبها من الفرق في الوادى .

حادث عجيب

وفي الليلة الموالية لمحادثة الكونت وفكروا
فى شأن الاقتران ببرانجير اتفق أن اجتمع أهالى
بولونية وفى مقدمتهم السراة والأعيان من ذوى
الشرف والرفعة بالملهى الكائن بشاطئ البحر
الذى سبق الكلام عليه بمناسبة مرور احدى المغنيات
آتية من لندن على بولونية . وكانت تقصد الذهاب
الى باريس ، فرغب منها أهالى بولونية أن تشفى
أسماعهم بصوتها الرخيم وأغانيها الرائقة : فقبلت
مطلبهم . وكان من جملة الحاضرين فى الملهى
الفاص بأفواج الغلائق على اختلاف نحلهم وتباين
رتبتهم فى الثروة والمجد المؤثل عائلة مروان
والمسيو فكروا والكونت فيلان صاحب القصة .

وبينما الناس فى انتظار تلك المغنية المطربة
اذ أرسلت تعتذر بعدم امكان حضورها
لتأثيرات (ص 57) طرأت على مزاجها ، كانت
أتعاب السفر أقوى عامل فيها . ومن الصدفة أن
كان الكونت فيلان فريد عصره فى أفانين الغناء .

وكان صاحبه « فكروا » أيضا من أشهر البارعين في ضرب البيانو . ولا يعلم ذلك من الحاضرين سوى عائلة مروان والمسيو فرار . ولما عم الحاضرين الاسف والقلق لانتظارهم للمغنية المتحدث عنها وعدم نجاحهم في مسعاهم قام فرار كمادته في اظهار الخفة والطيش كلما سنحت الفرصة وقال : آيتها السيدات والسادات الحاضرون اننا في غنى عن المرأة المغنية . اذ عندنا هنا من يقوم مقامها وزيادة هو حضرة الكونت فيلان . وأشار اليه . فصادق الحاضرون على ذلك ، وطلبوا منه بلسان واحد ان يشنف آذانهم ببدايع الحانه . فلم يسه الا قبول المطلب . فوقف في الساحة المعمدة للمغنين ، وانتصب فكروا على مقعدة البيانو . فأخذ الاول في الغناء ، والثاني في نقر البيانو . وأول (ص 58) غناية غناها بحرية . فكان لها حسن وقع واستحسان في نفوس الحاضرين ، لان جميع سكان بولونية لهم اهتمام زائد بالبحر ، وولوع كبير . وذيلها بترتيل . وتأنق في التعبير حتى كاد يحمله الحاضرون على الاعناق من شدة التأثير ، والسرور به . واثّر ذلك على برانجير ، فكانت له من المحبة والوداد بالمكيال الاوفر . وازدادت به هياما . فكانت تنتظر له ، وتفتخر به . وكان يوجد

فى أحد حىطان الملهى صورة باخرة شراعىة
تلاطمت علىها الامواج من كل جهة فى لىل مظلم ،
وهددتها عواصف الرىاح حتى كسرت أعمدتها ،
ومزقت أشرعتها اربا اربا .

ثم غنى ثانيا غداىة مناسبة لتلك الصورة المرسومة
على الحائط . وهى تسمى فى عرف المغنىين
بغداىة الزوبعة . واتفق أنه عند بداىة تلك
الغداىة المزعجة ، ظهر الرىح بمظهر مريع ،
وتساقطت الامطار . وكلما زاد نزول المطر ازداد
عصف الرىاح القواصف (ص 59) وارتفع صوت
الرعد ، وكثر وميض البرق . وكل هذا والكونت
فىلان ثابت فى مكانه كالجبل ، لم يعثره أدنى
اهتزاز ، والناس صاغون لكلامه كأنهم مخدرون
لقوة تأثير أغانىة فى أفئدتهم . وكان الاقدار
ربطت بين كلامه وبين الحالة الحاضرة بوثق العلة .
فلما صرخ آخر صرخة كعادتهم فى الغناء ، فتحت
نافذة من اثر رىح شمالية ورعد قوى الدوى ،
فسمع الحاضرون كان الواحا تكسر بالبحر . واثر
ذلك لمع البرق فرأوا باخرة شراعىة قد تكسرت
لما رفعها الرىح وموج البحر المتلاطم على الناظور
الكائن قرب مدخل المرفأ ، فصرخ رجل بين ذلك
الجمهور قائلا : من يعيننى على انقاذ هؤلاء الغرقى

فسكت الناس كلهم حبا في السلامة من الخطر الا
رجلا قد آجابه من آخر القاعة بقوله : أنا ... وهو
الكونت فيلان . وقام لحينه بحماسة وشجاعة خارقتين
للعادة (ص 60) وأخذ يعالج للخروج من بين
تلك الغلائق التي لم تتنح له عن الطريق . وبينما
هو خارج اذ اعترضت له برانجير في طريقه ،
ومسكته بشدة وشفقة بدون ان تراعى الاداب في
رفع الحجاب عن وجه محبتها له وقيامها به ، سيما
وقد كانت على حالة أفهمت الحاضرين ما يمكنه
صدرها ويخفيه ضميرها (...) (ص 62) . أما
المسيو فكروا فقد ابتلت ثيابه من تلاطم موج
البحر ، ولم يقتصر ذلك على الثياب بل تعداها الى
بدنه . كل ذلك من جهاد البحر ، ومصارعة قوة
الرياح حتى أن بعض ملابسه مزقت اربا اربا .
فذهب لتغيير لبسه ، واتخاذ الاحتياطات لوقاية
بدنه لما عساه أن يحل به من الآلام ، فما شعر الا
وارتفعت أصوات الحاضرين بشكره واستحسان
صنيعه . كما أن عائلة مروان لم تشعر (ص 63)
ببقائها بدون رجل من اجتمع هناك من أفواج
الخلايق . وكان شغلها الوحيد الاهتمام بامرأة
من أجمل نساء العالمين وجها ، مسودة العينين ،
طويلة القامة ، غلبة الملامح ، في عينيها ترجمة

تدل على أنها عريقة في المجد ، متأثلة في الشرف
وهاته المرأة هي فيدورة . فبادرت برانجير بوضع
ردائها حول رقبة هاته المرأة ، وأخذت أمها
الكنسية تحنو عليها (...)

(ص 67) استقر رأى برانجير على سكانها في
منزل سيكس القريب من ذلك المحل . وأخذت بيد
فيدورة ، وذهبت معها الى المحل المذكور .
ولما وصلت الى بابه صادف أن قد نزل الكونت فيلان
وكان يحمل الملابس التي ذهب في طلبها ، فتلقى
مع فيدورة وجها لوجه ؟ فصاح قائلاً
« فيدورة ... » بدون أن يراعي برانجير وكذلك
الحاضرين . وارتمى عليها ، وأخذ يدها ، فوضعها
على قلبه المكشوف كأنه قد جن أو تخبطه الشيطان .
أما برانجير التي شغفها حبه ، فقد شعرت كأنها
وضعت في ظرف من الثلج في زمن الشتاء كأنها
اثر ذلك أغمى عليها . فرفعها المسيو فكروا
وأما ، وأركبها عريقتها التي كانت تحمل جسداً
بلا روح .

(ص 82) . قد بان لك أن برانجير قد تولاهما

الحزن وسورها العنت على اثر ملاقة الكونت فيلان
بفيدورة وايضاح ما كان (ص 83) خافيا من
ترابط الجانبين بروابط الحب الوثيق الذى
مضت عليه الليالى ، وهو باق بحاله فى ذلك الوقت
الذى بات فيه الكونت وفيدورة متعاشقين على
فراش واحد . وباتت هى بليلة الملسوع ، وقد
عظم لديها الخطب ، وعضل الكرب بقدم الكونتيسة
فيدورة بقصد أن تنصدق عليها بالكونت فيلان
ليتزوج بها ، وقد صرخت بأن ذلك تضحية
لصالحها ولا مبالغة اذا قلنا : ان تصريحات فيدورة
هذه أشد على بيرانجير من نخب السهام وضرب
الحسام ، لانها رأت نفسها مملوكة لمن هو مملوك
سواها . وقد رضى أن تكون مصرفا لصدقات
مزاحمها ومنافسها . ولا ريب فى أن المزاحم
بالكسر لا يرق لحال المزاحم بالفتح الا اذا بلغ
من سوء الحال وغثاثة العيش مبلغا أبكى الاعداء
ورقت له الجلاميد .

(ص 10) الى هنا وفق محرر هاته القصة الجدية
التى ليست من الروايات الحالية . وقد ختمها مؤلفها

بقوله : ان القراء الكرام يودون بكل تشويق أن يعلموا من الذى كان أسعد حظا من هذين العروسين صاحبي هاته القصة (ص 107) الحقيقية وما آل اليه أمرهما فى الحالتين المختلفتين

واذا توجه جماعة من القراء الى بولونية ، وهى بلدة جديرة بالزيارة ، فلهم أن يسألوا عن الأمكنة التى ذكرناها فى هاته القصة خصوصا المكان الذى كان به فرس على شاطئ البحر فلما رأى سيده قادما من مركب عرفه ودخل البحر ليرحب به .

انتهى

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هل تنفج الطير؟

بقلم : الطاهر عمران

لف أطراف ثيابه البالية وتكوم كالقطة فأحدث برجليه النحيلتين شخصخة على الحصير المهترئة وبقفا كفيه مسح عينين مقرحتين ثم تنأب *

قال وهو يتحسس جانب الحصير :

— عجباتك الدفيه في هلجوتيله ؟

جال بصره في جوانب الغرفة : فقه قديمة معلقة بالحائط ، صندوق خشبي باهت في الركن الأيسر ، على اليمين تبعثرت مواعين طبخ مشوكة *

ركل صالح زوجته ، وبين شفغته انحرافة ألم دفين :

— شوفي الذرية كيفاش راقدين كينهم شلايك ملوكة *** لى وليكم ربي *

تململ الأطفال فوق جرد الزاورة ، واندفعت أطفارهم تحك جلودهم الوسخة حكا مدميا ، وانطلقت صيحاتهم كموا القطط الجائعة *

— اسكتوا يعطيكم داهية تهزكم *

صرخ الزوج يخاطب زوجته :

— ما لقيتك فالحة كان في دعاء الشر ** قومي حتى على خاطر سسالم وفاطمة *** قريب يفوتهم وقت المكتب *

نهضت أم الخير متثاقلة ، وأنزلت القفة وهي تقول :

– الله يرحم جارتنا مريم ، وهي حية ... ديمة تعبيننا القفيفة بالحبز
اليابس .

ووضعت قطعاً في صحن من طين وصبت قليلاً من الماء .

التهم سالم وفاطمة الحبز المبلول . وانطلقا جريا الى المدرسة .

تحامل صالح على نفسه ، وانتحى زاوية البيت . مد يده النحيلة السمراء ،
وتناول من السممار الكبير حبلاً ملتويًا ألغاه على كتفه ، وانصرف يهمهم :

– الحقى للبطحة ... كان ناب ربي بحمالة باهية طيبينا اليوم لقمة
سخونة .

غمره شارع البروتستان ، فانهدر بحر قدميه في نعل متآكل ... وصل
الى الساحة وجلس على الرصيف متكئاً ... امتدت اليه أشعة شمس جانفى
ترحمه دفناً ، انبسطت أطرافه بعد انكماشه البرد .
<http://archivebeta.sakhril.com>

نبشت الحرارة خواطر الحمال ، فخرجت غمغمة غامضة .

قلت لها الحقى للبطحة ... ابراهيم وشاذلية وحامد ما زالوا صفار ياكلو
فاضلنا ويلبسو جروونا . فاطمة ديمة كرشها مريضة .

– صباح الخير ، يا عم صالح . تشرى سقيرة ؟ استفتح من عندى .

اندست يد الحمال في جيب كبير . وأخذت أصابعها تتلمس قاع الجيب ،
انصرف بائع السقاير واليد ما تزال مدسوسة . لكنه رجع ورمى سيقارة في
حجر الحمال . أشعل صالح سيقارته . وجذب نفساً طويلاً ونفخه ، ثم جذب
ونفخ ، ناسجاً حول وجهه وشعره الأشعث ضباباً قاتمة من الدخان .

عادت الحواطر تطل من رأسه المحترقة :

– اذا كان لحقت أم الخير وما لقيت شي • لا • لا • ربي نواب ••• سالم
توا فى المكتب ••• الله ينجحه ••• ديمة يقولى – يا بابا – كل يوم وقت اللي
يدخل صندوق الكسكروتات للقسم ويحطو العساس تحت الصبورة عيني
تترشق فيه ••• قداش من مرة فجعنى صوت المعلم ينبه فى للدرس •

وكن أفزع سربا وادعا من الطير هكذا هربت خواطر الحمال من وقع هذا
الصوت العنيف •

– تحبش تخدم على روحك يا خوى ؟

انتصب صالح واقفا كتمثال حجرى فاغر الفم ، محملق العينين ، ولسانه
يتحرك مضطربا :

– يا نايب ! زعمه خرجت أم الخير مالبست ؟

تلقت الثغاة مذعورة ، فلمحها مسندة ظهرها الى عمود حديدى ، ملفوفة فى
خافها الاقتم الممزق • حول بصره الى الوقت أمامه :

– لو كان يعطينى شيوا فلوس مسيقة نعطيها لام الخير •• لا • لا •
– يا خويا • تحب تخدم وإلا لا ••• عندك بروطة والا تهز على اكتافك
سرير وجراية كرينو وحصير عبادى وصندوق ••• ها هم فوق الكار
توصلهملى لباب منارة ••

تنقلت اوصار الحمالين بين سطح الحافلة والحمال واتجه بعضهم متشاقلا
للساعدة صالح •

استوت الأمتعة بين كتفيه مشدودة بالحبال شدا محكما ، مشى فى اتجاه نهج
الاطمين ، منكس الرأس ، متباطئا ، يجتر همومه ••

– قلبى يقلى : أم الخير ورائى عينيهما اتبع فى رجلى ، ارجعى يا أم الخير •

قالها الحمال همسا • وحاول أن يدير وجهه قليلا • لكن الحبال شدت رأسه
وأطراف الأمتعة سدت عليه جانبيه الطريق •

العربات تشتمه شتما شنيعا متواصلا بأزيرها • وأم الحير تقتفى الخطوات
الذليلة ، وقد تصيب عرق الحزن والحجل على وجهها • تسمرت قدماء فجأة •
لقد سدت عليه الطريق عربة سوداء طويلة ، فاصفر وجهه وتلاحقت أنفاسه •

رفع بصره بمسقة ، فبهر عينيه لمعان السواد وبريق الأسلاك الفضية
المحيطة بجوانب العربة •

أطل وجه صبوح من وراء بلور السيارة الخلفى ، ضاحك العينين ، يقطى
خديه شعر كخيوط الشمس •

كانت العربة الفاخرة تنتظر بدورها انفراج الطريق ، صف ممتد من
العربات يلتوى مع التواءات الشارع ، يضح صارخا متشنجا •

الطفلة تعبت وراء البلور • • • أصبعها الجميل يمتد • • • يشير الى ماذا ؟

نزل السائق وعاد مسرعا • وضع أمام الفتاة قرطاسا أبيض • حركة يدها
بين قرطاس المرطبات وفيها الحلوى تتراعى أمام عيني الجمال كخيوط من النور •

شعر ببرودة العرق تلتصق جبينه • تحركت قبضة يده أصبعها أصبعها لتزيح
الحبل قليلا عن جبهته • أحس بيد أخرى تلمسه باردة كالثلج • التاع صارخا • •

- ابعدى • • ابعدى •

خففت المرأة رأسها لتظل على وجه زوجها الذى انغرز ذقنه فى صدره •
وهيمت له • • •

- لو كان نأخذ شويا افلوس مسبقه من عنده • • • الذر • • • رى • •
فى ال • • بيت • •

- آش بيبك ترعشى ، يا أم الحير ؟

سمعت أم الحير زقزقة العصفور من وراء البلور • كانت البنية تشبع وجه
والدها المتكى • بجوارها على المقعد الوثير ، تشبعه قبلات وتقول :

– خافه لا يفلق « مفزان جنرال » ما نرجع للدار إلا بالعروسة •

لبثت أم الحير تحملق مشدوعة • نبع صوت كئيب من صدر الحمال
المحدودب « الصبر لله » ارتجف لسان أم الحير وردد (الصبر لله) •

دوى أزيز العربات دوىا حادا • أوقف صفين على الرصيف ، تحركت الحافلة
التي أمام العربية السوداء الى الوراء •

صرخ السائق وقفز بسيارته الى الحلف يتفادى صدمة الحافلة • كادت البنية
تختنق بالمرطبات وهي تصيح :

– الحمال وراك – باش يموت • طاح • يا بابا • مات •
ما • ت • ما • ت •

الطاهر عمران



عربى

قصة قصيرة بقلم الكاتب الايرلندى : جيمس جويس

عربها عن الانكليزية : محمد البصرى قواد

تقديم جيمس جويس وأدبه

ولد جويس فى مدينة دبلن سنة 1882 ونشأ بها فى تلك الفترة القلقة فى تاريخ وطنه . . « ايرلندا » وكان لذلك اثر عميق فى نفسه جعله يتحسس مشاكل مواطنيه ويخلد نماذج عديدة فى مظاهر حياتهم وتفكيرهم فى مجموعة من القصص القصيرة اسمها (Dublens) أى أهل دبلن ، ومنها هذه القصة (Araby) التى قصت بتعريبها . ويعتبر جويس صاحب مذهب متميز فى فنه الروائى . ففى البناء الفنى لرواياته الطويلة وحتى قصصه القصيرة يعتمد عملية الاستبطان غير المباشر لنفسيات الشخصيات التى يرسمها ، ويعتبر سلوكهم فى أدق مظاهره دليلا بل ومفتاحا لادراك أعماق الدوافع التى تكمن وراء أفكارهم وأعمالهم . ولعل مقالاته أحيانا فى ايراد التفاصيل والجزئيات صادرة عن وعى مجرد حقائق الاشياء . فهو يقول عن نظرية التجلى او لحظة التنوير (Epiphany) « على القارىء والكاتب معا ان ينتبه جيدا للكلمة الواحدة التى قد تتضمن مغزى القصة كلها . وكذلك يجب البحث بامعان عن الحركة او الايماء الخفية التى

تكشف عن مجموعة معقدة في العلاقات في حياة الشخصية «
ومن هنا نلاحظ الأساس المشترك الذى يعتمد جويس فى
تصوير أبطاله انطلاقاً من مبدأ لحظة التنوير او نقطة التجلى .
وربما كان ذلك ناتجاً عن تأثره بأخو الـدينى الذى عاشه فى
« دبلن » وهو جو صوفى متزمت تضمحل فيه المادة وتتحول
الى مجموعة من الرموز والقيم الروحية . وبوسع القارى أن
يطالع قصة « الميت » حتى يتبين الى أى حد تهيمن فكرة
التناقض بين مظهر الحياة المادية وجانبها الروحى كما يظهر
فى المونولوج الداخلى . وتعد رواية « يوليسيس » فى جهة
اثنان الحبكة والاسلوب ازوع ما انتجه هذا القرن حتى الان
وبالاضافة الى ذلك كتب جويس رواية يعتبرها النقاد ترجمة
شخصية للكاتب وشى « صورة الفنان فى شبابه » . وفيها
تلخص معظم آرائه واتجاهاته الفكرية بوضوح .

ان قصص جويس تذكرنا ببعض معاصريه من الروائيين امثال
« مارسيل بروست » و « فريجينيا وولف » وغيرهما من الذين
سلكوا نفس النهج فى بناء رواياتهم وصوغها الفنى صوغاً
يعتمد مبدأ وتكنيكاً دقيقين ولا سيما فى رسم شخصياتهم
واستبطان نفسياتهم وتعليل سلوكهم دون تجاهل لحفايا
النفس الانسانية وطبيعتها المعقدة بكل ما فيها من دقة وعمق .
وقد توفي جويس سنة 1941 ودفن بدبلن مسقط رأسه .

(م . ق)

عربي

كان زقاق زيتشمنو يبدو هادئا طوال النهار ولا يقطع ذلك الهدوء الا ضجيج اطفال مدرسة الاخوان النصارى وهم يغادرونها . وكان يقوم بنهاية الزقاق بيت مهجور مؤلف من طابقين تفصله عما حوله ساحة مربعة صغيرة . أما البيوت الاخرى فقد ظلت تنطلع الى بعضها بوجودها الداكنة الزينة ، وهي تعج بالحياة بين جدرانها . والراهب الذى سكن بيتا سابقا كان قد مات فى الغرفة الخلفية . وبات الهواء الندى المحبوس يتنقل فى باقى الحجرات . وكان من بينها تلك الحجرة الخالية التى تنتشر فيها أكوام من النفايات والاوراق القديمة . وحدث ان عثرت مرة على بعض الكتب المغلفة حديثا هناك . وكانت أوراقها متفحشة رطبة . وقد راقت لى « مذكرات فيدوك » دين غيرها فان أوراقها الصفراء جعلتنى ألتقطها فى لهفة . وخلف البيت نمت فى قلب الحديقة المهملة شجرة تفاح تنابت حولها بعض نباتات العليق التى اصابها الشلل فتوقفت عن النمو من جراء الاهمال . وما زلت اذكر انى عثرت تحت احدى الشجيرات على نقاعة صدئة كان الراهب يستعملها لنفخ دراجته ، وكثيرا ما سمعت عن صلاح وطيبة هذا الرجل مما أدى به الى أن يوصى بتروته بعد وفاته لصالح المؤسسات الخيرية ، وإن يؤول أثاث بيته لشقيقته من بعده .

وعندما حلت أيام الشتاء الباردة القصيرة أخذ معها الغروب يتقدم فأصبح الظلام يدركنا قبل أن يحين موعد تناول العشاء . وكنا نلتقى فى الشارع ، وقد لقع الظلام البيوت بردائه المعتم وبدأ الفضاء الرحب من فوقنا مخضبا بلون بنفسجى متبدل بينما ارتفعت أعمدة النور لتعانقه بمصابيحها الخاطفة . ورغم ان الريح الباردة تلسع أطرافنا فلم نكن لنصرف حتى تنورد بشرتنا وتحمر أنوفنا واذاننا ، وتدوى صرخاتنا فى جنبات الحارة . ولعل مرحنا قادنا احيانا الى المنعطفات الوحلة خلف البيوت حيث اعتدنا التهكم على أهل الاكواخ بصلافتهم ، أو لنجد انفسنا فجأة عند بوابات الحدائق الخلفية

الكثيية وهناك نشتم روائح الرماد المنبعثة من الخنادق . وفي بعض الاحيان كنا نمر امام زرائب الخيل المعتمنة فنشاهد أحد الحوذية يعتنى بالحياد ، ونسمع اللحن النشاز الذي يحدثه اهتزاز الجرس المشدود الى صهوة جواد جموح . وعندما نعود الى الزقاق كنا نجد ضوء المصابيح ينعكس من خلال زجاج النوافذ ويغمر وسط الشارع الصغير . وخشية أن يظن الينا عمى دأبنا على الاختفاء فى احدى الزوايا المظلمة . ولا نصادف مخبأنا حتى نطمئن أنه مروغاب عن الانتظار داخل البيت دون أن يشعر بوجودنا . وحينما تظهر شقيقته « ماغان » عند عتبة الدار منادية أخاها للعودة وتناول الشاي ، فاننا نظل معتمسين بمخبئنا أيضا ولا نغادره الا مرغمين ، لانها تلح فى الوقوف عند الباب تتفحص جانبي الزقاق بقامتها التى يكشف النور الساطع من افتتاح الباب عن ملامحها الجميلة . وقد اعتاد شقيقها أن يمعن فى اشارة غضبها قبل ان يستسلم وينضم اليها . أما أنا فانى أبقي واقفا عند الدربوز أطلع اليها حتى تقيب . وكنت أرى فستانها يهتز باهتزاز جسمها الرشيق وأرى الشريط الذى يشد خصلات شعرها يرفرف على جانبي عنقها . وشيئا فشيئا بدأت تنمو فى نفسى رغبة عجيبة فى مراقبة بيتها . وأصبحت أقضى ضحي كل يوم أطلع الى باب دارها . وخوفاً من أن يكشف احد ذلك كنت أنزل ستار النافذة التى اتخذت منها مركز التجسس ، ولا أتترك الا مجالا ضيقا يمكننى من الرؤية دون أن يظن الى أحد . وهكذا أصبح قلبى يخفق بشدة كلما ظهرت عند الباب فى طريقها الى المدرسة ، فأهرع الى كتبي بالقاعة فأحملها وأسرع لاحقا بها . ومرت ايام وأصبحت صورتها لا تفارق مخيلتى . ولم أجرؤ وأنا أتبعها حتى مفترق الطرق الذى يفصل اتجاهينا ، ان أكلها وأتبسط اليها فى الحديث . وكل ما قلته لها لم يتعد بعض الكلمات العرضية العادية . على أن اسمها وحده بات تدريجيا حرارة وغناء تسريان فى دمي وغدت صورتها لا تفارق عيني حتى فى أبعد الاماكن عن مظاهر الرومانسية . وفى أمسيات ايام السبت كان على ان أصحب عمى الى السوق لمساعدتها فى حمل بعض المشتريات الى البيت . وفى السوق المانجة تعودت على شق

الطريق وبين عريضة السكارى واستهتار المؤسسات • وعلى سماع لعنات
 الفلاحين وصياح غلمان المخازن المختلط بأصوات المتسولين الذين ترتفع
 عقيرتهم بأغان ومواويل يتحسرون فيها على مصائب الوطن وتعاسته • وكانت
 هذه الأصوات الصاخبة تتقارب لتلتقي جميعا فى احساس واحد بالحياة • :
 وهو انى احمل قدحى (I) الربانى بسلام وسط أفواج من الإعداء • • وتطور
 الامر بسرعة حتى أصبح مجرد اسمها ، وهو يقفز الى شفتى ، يجعلنى أغرق
 فى تأملات وصلوات لم يكن فى وسعى ادراك سرها • وكثيرا ما اغرورقت
 عيناي بالدموع دونما سبب واضح • وأحسست بفيض من الدم الفائر يتدفق
 من قلبى لينصب فى صدرى • وكان لا يخطر ببالي شيء عن المستقبل ،
 ولا أدري ما اذا كنت سأحدث إليها ام لا • وكيف - لو حصل ذلك - ساعبر
 لها عن هيامى الشديده بها • على أن أوصالى أصبحت تشبه أوتار القيثارة
 المرهفة وتراعى لى كلماتها وحركاتها أصابع لدنة تعزف عليها لحنا • وفى
 احدى الامسيات دخلت الغرفة التى شهدت وفاة الراحب • وشعرت بالبرد
 فى تلك الامسية الممطرة • ولت السكون رغم نامة الرذاذ وزخات المطر
 المتواصلة تتساقط لتسقى مساكب الاعشاب وتطرق سمعى عبر خانات
 النوافذ المكسورة • وكان يتخلل المكان ضوء باهت من بعض المصابيح
 البعيدة بعث فى نفسى الارتياح اذ مكفنى من الرؤية بعض الشيء • وبدأ لى
 أن حواسى تهفو الى أن تخجبل نفسها عن الضوء • وجعلتنى شدة البرد أفرك
 يدي بعنف حتى ارتعدتا فعدت الى وعيى وأنا اتمتم :

آه .. ايها الحب .. ايها الحب • •

واخيرا جاء اليوم الذى انحلت فيه العقدة وكلمتنى • • وقد تملكتنى
 اضطراب شديد حين خاطبتنى مستفسرة عما اذا كنت أنوى زيارة مخزن
 « عربى » الشهير • والحقيقة ان اضطرابى جعلنى لا أدرك ما اذا كنت قد
 أجبت بالنفى او بالإيجاب • وكل ما أذكر أنها قالت بأنه « عربى » • ربما
 كان معرضا تجاريا فخما بودها لو تهيأت لها فرصة لزيارته • وعند ما سألته
 عما يمنعها من ذلك أجابتنى ، وهى تدير سوارا ذهبيا حول معصمها ، بأن ذلك

(1) قدحى الربانى (Mychalice) ترجمة لرمز القدح فى المسيحية وهو الذى تشرب فيه الحمر
 أثناء القداس على أنه دم المسيح ويرمز للامان والاستقامة فى الدين • « العرب »

الاسبوع سوف يشهد اعتكافا دينيا في ادير اندي تدرس فيه . وكان شقيقها آنذاك منصرفا الى الدفاع عن حمى الحارسة برفقة صبية آخرين ، ووقفت وحدي بالدربوز أطلع اليها ، وهي تنحني تحوي براسها ، ويدها ممسكة بأحدى شدادات شعرها ، بينما انعكس نور المصباح المواجه لبيتنا على جيدها الاغيد وشعرها ويدها الممسكة بطرف الدربوز . وكان النور يسقط أيضا على جانب من فستانها ويكشف عن طرف غلالتها الشفافة كلما استقامت في وقفاتها وقالت بعد ان اجبتها دون أن أشعر بأنني اعتزم فعلا الذهاب الى « عربى » :

- حسنا .. انه لامر لطيف أن تفعل .

فقلت :

- اذا تم ذلك فسوف اشترى لك هدية من هناك .

يا للافكار الجمقاء التى راودتنى فى يقظتى ومنامى بعد تلك الامسية ! .. فقد تمنيت لو كان بوسعى أن أنسى الأيام العظيمة الفاصلة عن موعد الذهاب الى المعرض الكبير فى لحظة واحدة . وثارت ناشرتى على واجباتى الدراسية وأثناء الليل غدت صورتها تلاخفتى فى غرفة نومى وحتى فى قاعة الدرس وتقف حائلا بينى وبين الصفحة التى أحاول قراءتها دون جدوى . كما أصبحت مقاطع كلمة « عربى » تهمس لاذنى من خلال السكون ، وتملأ نفسى التواقة بسحر من جلال الشرق .

وجاء يوم السبت فطلبت منذ الصباح اجازة للذهاب الى هناك . واندعشت عمى للامر راجية أن يكون فيه خير .. وفى ذلك اليوم فشلت فى الاجابة عن الاسئلة فى الصف اذ لم يعد بإمكانى تجميع شتات أفكارى وتركيزها . بل فقدت صبرى وموقفى الرصين من مشاغل الحياة العادية . وقد لاحظ عمى على هذا الاهمال فتبدلت سحنته وحلت محل اريحيته المعهودة صرامة حادة . ولا أنسى كيف أجابنى باقتضاب حين ذكرته فى ذلك الصباح برغبتي فى زيارة « عربى » اذ قال وهو يبحث مفتابا عن فرشة لمسح قبعته بأنه يعرف ذلك . ولم أكن أستطيع الذهاب الى السميفة كالعادة أثناء وجوده بقاعة الاستقبال . ومن ثم قصدت المدرسة متائبا يساورنى الشعور بأن

مزاج البيت متعكر • واحسست بلذعات البرد الفارس تغوص الى اعماق قلبي • وعند الغروب عدت الى البيت لتناول طعام العشاء ، وظلمت أنتظر عودة عمي ، وأنا أجلس قبالة الساعة الكبيرة أراقب عقاربها ، واذ خيل الى أن دقائقها بدأت تزعجني غادرت الغرفة وصعدت الى الطابق العلوي • وهناك أخذت أتنقل بين مختلف الحجرات الحالية الباردة مرددا بعض الألحان • وسرعان ما شعرت بالانعقاد • وكنت أستطيع مشاهدة زملائي يلعبون من النافذة المطلة على الزقاق وتصلني أصواتهم ضعيفة مشوشة ، وكذلك رؤية البيت القاتم الذي تسكنه فتاتي • ولعل قضيت وقتا طويلا بقيت أثناءه واقفا أمام النافذة مسندا جبهتي الى زجاجها ، وقد لاح لي خيالها في شريط من الصور ، وقوامها الملمع بالسمره يضيء عليه نور المصباح فيضا من نضاعة جيدها ، ويدها الجميلة الممسكة بالدربوز ، وطرف غلاتها تحت الفستان ، وانقطعت أحلام يغطئ فجأة فنزلت الدرج وتلفت الى القاعة حيث أقيمت المسز « مرسر » جالسة الى الموقد ، وكانت عجوزا ثائرة تتعاطى الربا منذ وفاة زوجها وتجمع الطوابع المستعملة لغرض شريف كما تقول • ولم اكنثر للغمز واللمز اللذين دأبا على مائدة الطعام • وقد ادى تأخر عمي عن الحضور الى تأخير موعد الشاي بمساعة كاملة • ولكن لم يجد ذلك نفعا ، فنهضت المسز « مرسر » لتبصر قائلة : إنها لا تقدر على الانتظار أكثر مما فعلت • لا سيما أن الجو الرطب في الخارج يمثل خطرا على صحتها لأن الوقت قد تجاوز النامنة ليلا •

وانثر انصرافها عائدة الى بيتها نهضت لاتمشي في القاعة جيئة وذهابا ، وأنا أشد قبضتي من الحنق وقالت عمتي :

— أخشى ان تؤجل زيارة المخزن هذه الليلة المباركة •

في الساعة التاسعة سمعت قرقرة المزلاج الخارجى • وانفتح الباب • ثم دخل عمي وسمعته يتحدث الى نفسه ، ويلقى بمعطفه الكبير على المشجب الذي يتأرجح تحت ثقله • وخطر لي ان هذه الاشارات نذر لها دلالتها • وقبل أن يفرغ من تناول عشاءه سألته ان يسلمنى النقود لاذهب الى « بازار عربى » كانه قد نسي الامر أو لعله تناساه • ومن هنا تعلم بأن الوقت متأخر وأن الناس ربما قضوا الهزيع الاول من هجوعهم • ولم ابتمهم • أو اعلق بشىء • بل كفتنى عمتي مؤونة ذلك فقالت :

— لم لا تعطيه النقود التي يطلب وتدعه يذهب ؟ يكفي ما سببت له من
تاخير ..

وعبر عني عن أسفه لذلك معذرا بالنسيان . ثم أردف قائلا :

— اني اومن بالمثل الشهير : الاقتصار على الجد وحده يجعل المرء بليدا .

ثم تسألني عن مقصدي . وبعد أن كررت الجواب . سألتني ان كنت أعرف قصته « وداع العربي لجواده » الشعرية . وكان علي وشك أن يأخذ في انشاد مطلع القصيدة علي عمتي حينما غادرت قاعة الاكل في اتجاه المحطة . وسرت في شارع « بكنفهام » وأنا اشد قبضتي على قطعة النقد الصغيرة ، وأنطلق حوالى الى المحلات التجارية المضاعة بالغاز والمزدحمة بالمشتريين . وذكرني كل ذلك بهدف رحلتي . وسارعت في المحطة الى استقلال عربة من الدرجة الثالثة في قطار خال من الركاب لم يلبث أن تحرك ببطء اثر تأخر مثير للاعصاب ليحذف عبر المنازل المتداعية ويعبر النهر المتلالي المياه ، وفي محطة « وتستلاندرو » اشتد ازدحام المسافرين عند ابواب العربات . ولكن الحماليين أبعدوهم عنها بحجة أن القطار كان خاصا برواد « بازار عربي » وهكذا بقيت وحيدا في العربة الخالية . ومرت بضعة دقائق ، ثم توقف القطار عند رصيف خشبي بدا كأن تاسيسه تم بارتجال كبير ودون عناية ، ونزلت . وحين عبرت الى الشارع المقابل لاحت لي ساحة كبيرة أضيت عقاربها مشيرة الى العاشرة الا عشر دقائق . وأمامي خفق الاسم الشهير على واجهة بناية ضخمة . وحالما وصلت وجدت نفسي مترددا في الدخول . ولكن خشيتي ان يغلق المخزن أبوابه جعلتني أدلف بسرعة الى المحل من باب دوار بعد ان منحت شلنا الى شيخ بدأ عليه البؤس والاعياء . وسرعان ما ألقيت نفسي وسط باحة كبيرة يعلوها رواق امتد على جنباتها عند منتصف ارتفاعها تقريبا . وطالعتني أغلب الاكتشاك مغلقة في ظلمة الباحة الجزئية فخييل الى ان ذلك السكون أشبه بجو الكنيسة عقب أداء أحد الطقوس . وسرت في قلب المخزن متهيبا . ولاح لي بعض الرواد يتجمعون حول الاكتشاك التي ما تزال مفتوحة . وعلى ستار يكسو أحد الجدران لفتت نظري حروف مضيئة قرأت فيها بالفرنسية اسم « المقهى الهازج » وأمام الستار جلس رجلان ، منهمكين في عد النقود فوق طبق كبير . وسمعت رنة القطع النقدية ،

فذكرتني بالغاية من مجيئى الى المكان . واذ ذاك اتجهت الى دكة صفت عليها
المزهريات الخزفية وأدوات الشاى المزخرفة بالزهور . وقرب باب الكشك
وقفت امرأة شابة تتحدث الى شابين أنيقين بلهجة انكليزية استطعت تمييزها
حين أنصت بذهول الى المحادثة التي كانت تدور بينهم .

قالت الفتاة منكرة :

— أبدا .. أنا لم أقل كهذا .

— بلى . قلت ذلك دون شك .

— ولكن لم يحصل شيء من هذا القبيل مطلقا .

— اما قلت ذلك ؟

— أجل . لقد سمعتها بنفسى .

وأصرت الفتاة على الإنكار محتجة :

— ولكن هذا بهتان .. تلفيق وكذب ..

وهنا التفتت فأبصرتنى . ولم يكن توسعها الا أن تقطع محادثتها فجاءتنى
لتسألنى عن بغيتى . ولم تكن لهجتها مشجعة ، بل لعلها ما سألتنى الا بدافع
من شعورها بالواجب ليس غير . وتحولت بنظري الى الجرار الكبيرة القائمة
على جانبي المدخل المعتم ، وكأنها حراس من الشرق . قبل ان أدر عليها بانى
لا اريد اقتناء اى شيء ، فغيرت موضع احدى المزهريات . ثم انثنت
راجعة الى الشابين ليواصلوا حبل حوارهم فى نفس الموضوع . ورغم شعورى
بان بقائى أصبح فضوليا فقد تسمرت أمام كشكها . وتفتنت اليها تراقبني
بنظرة جانبية ، ومع ذلك فانى تظاهرت بالاهتمام بمعرضاتها وأخيرا مشيت
ببطء وسط البهو الفسيح . وفجأة أعلن عن اطفاء الانوار فى الرواق العلوى
وغرقت شرفاته فى ظلام دامس . وتراعى لى ، وأنا أحرق فى الظلمة المطبقة ،
بانى مخلوق تافه جره الغرور وراءه ثم سخر منه . وأحسست بعيني تتوهجان
من الألم والغضب .

محمد البصري قواد

أضاعت أنفرا

بقلم : الأنسة جليلة المهرى

— هورنى على نفسك يا بنيتى ، إلام ستبقيين هكذا أسيرة الكتب والاوراق ؟
إنك منذ المساء لم تبرحى مكتبك !

— إن الامتحان على الأبواب ، يا أماء ... ومن جد وجد !

هكذا بدأت خدوجة تحاور ابنتها أنيسة ، عندما طفق بيت خالد فرحا ،
وتناهى الى مسمعها صخب النسوة وزغرداتهن تهتفد الاذان ، معلنة زفاف
خالد على بنت خاله ليلي <http://Archivebeta.Sakhril.com>

— أحاطك الله برعايته ، يا أنيسة • لكن لا بأس أن ترتفعى سويغات بيت
جارنا خالد • إنه لم يبق حاقدا علينا لامتناعك من خطبته لك • ها قد بعث لك
ببطاقة استدعاء • إنه طيب القلب •

وصممت أنيسة قليلا كمن يتهرب من الاجابة • ثم قالت :

— لقد حدثتنى نفسى بولوج بيته عندما مررت بقربه • لكننى تماديت فى
السير مرفوعة الأنف !

كانت خدوجة شديدة الاعتزاز بابنتها • وما فتئت تضمها طويلا الى صدرها
كلما حدثتها عن مضايقة شاب لها فمرت أمامه بقلب من حديد ، أو عن مغازلة من
آخر فلم ترقص جليد قلبها • فكيف — إذن — لا يكون لجوابها عميق الأثر فى
نفسها ؟

واتسع ثغرها الأذرد تحت ضحكة طويلة ونطقت حنجرتها بهتمة مرتعشة ،
وهي تقول :

— لله أنت ، يا عزيزتى ! تعالى أقبلك ،* يا ابنة « خدوجة » • ساعلمك
الشموخ بانفك عن كل الرجال !

واستسلمت أنيسة الى صدر أمها لحظات قصيرة ، واستعرضت خلالها
شريطا متلفزا ، مرت صورهِ واجمة بمخيلتها ••• شريط عروس تجر ثوبها
الطويل الى جانب زوجها ، متأبطة ذراعه ، مطمئنة مستأنسة ! عروس ترمقها
الآعين باعجاب ••• وتشيعها الزغردات ••• بل صورتها الى جانب خالد لو
لم تمتنع •

وارتعد جبل الصمت ، وتلاحقت الصور ، واختلطت ببعضها كما يختلط
الضباب الكثيف •• واستفاقت أنيسة من سباتها تحت صوت السيارات ،
ناقلة العروس ، وهي ترن رنة رتيبة واحدة تهتز لها كل القلوب • ولأول مرة
في حياتها تنبهت الى وجود عضو حي • عامل ، كبقية الاعضاء بين ضلوعها ، وقد
وخزه وهزه ما يشبه الحساس ، فعجبت كيف يشرب ماء الربيع الى الغصون
اليابسة فتورق وتزهو فرجا واحتفاء • بقدمه وتميس • ثملى تحت انفعالاته •

وتعلم أنيسة أنه من الشانك والصعب درس بيسيكلوجية الشيوخ • لكن
مخادنتهم والاقتراب منهم يسهل الأمر أكثر • ومع قسطها الوافر من الثقافة
تستطيع فهم والدتها وسبر اغوار نفسها ، إذ ما تعنى تساؤلاتها المتكررة :

« ••• لمن ترانى وهبت نضرة شبابى وعمن أضعت شرخى ؟

وعلى حساب من شمخت بأنفى عن أربعة رجال رغبوا فى بعد المرحوم ؟
ستشمخين ! ساعلمك الشموخ يا ابنة الأرملة ! •• »

إن قصد الأم لواضح ؛ فأنيسة مدركة أنها شغلت والدتها عن الزواج ثانية
كما تدرك تعلقها بأهداف الحياة وتمسكها بالأمانى وما يوارى الغصون ويخفى
عدد السنين ••• وحينئذ الى رونق الشباب وأحضان الزوج • إن شبح الزواج
ما انفك يطاردها • لكن عطفها الفياض وحنوها على وحيدتها • كانا أقوى من

هذا الشبح • وما قد بدأ يشهد دورانا وتراقصا عندما شبت ابنتها ، فكلما تقدم اليها خطيب إلا وتجبل الطرف حولها فتريها وحدتها ، ويفزعها طول الطريق ، ويصعب عليها اجتيازها وحيدة ؛ فتلجأ الى « قطع يد الخطيب قبل الخطبة » • ولذلك كانت أنيسة تحاول بكل قواها نبذ العاطفة وتجنب المادة ، فتهمس الى نفسها : (إننى ممن يخافون الأشياء ويرغبون فيها) • ومرت الأيام خصبة خضراء • وكللت جهود أنيسة بالنجاح ، لكن إثر ذلك تمرد على صحتها توغك ما • وخارت أعصابها ، ووجدت نفسها بالمصحة تجتر وحدتها فى صمت وأناة ، وتلوك آلامها بمرارة ، وكانت الساعات هنالك تمر جوفاء مقلقة لا تبصر فيها أنيسة غير أشباح الموت ، ولا يعمر رأسها غير صورة المفزعة ...

ما أشقى من يموت ! ما أفظع الموت ! العدم ! الاندثار !

وتشتد وطأة هذه الصور ، كلما عادت لها أمها ، وأمعت النظر فى غضونها الكاسفة التى تزداد شجوبا يوما بعد يوم ، ففى جبينها الذى يبدو كالحصير تقرأ كل مراحل حياتها • • • ما أبدع صورتها وهى صبية لعب • وما أروعها وهى شابة يانعة ! وما أفزعها وهى تقترب من الموت بأكثر أو بعدم أكثر ، فتودع الكهولة لتتمرغ وتتوغل فى الشيخوخة بخطى واهية هادئة !

ثم لعب القدر دوره مدة سقمها ، إذ قاد لها صديقا لزيارتها ، وكاد يطرد عنها كل الحواطر المفزعة •

– إنى أتيت لعيادتك • كيف حالك يا أنيسة ؟

– شكرا لك ! بخير والحمد لله •

– إنك نحلت كثيرا • أما زلت متعبة ؟

– كلا • إنه سعال فقط •

وودعها بعد بضع دقائق • وودت أنيسة أن لا تدعه يبرح المكان ، أن تستدرجه للحديث ، أن تقول له : أعلى عجل أنت ؟ أهكذا زورة عابر ؟ ؟

غير أنه أضاف الى كلمة وداعه (أرجو أن ألقاك معافاة غدا) ! فباتت تنتظر قدومه .

... إلهي ! أليكون حاد الذكاء الى درجة فهم نظراتي ؟ ؟ أليكون قد فهم أني أرغب في رؤيته ؟ لا ... لا ... كيف ؟ أنا لم أقل شيئا ينم عن ذلك ! لا بد أن المسألة مبينة ، والا فما كل اعتنائه بصحتي ؟ الوجه الله ! إن كلامه لرقيق ، لقد استرق مني مشاعري !

وأقبل مساء اليوم التالي ... أقبل يحقق لها الحلم اللذيذ ، وبدأ لها اللف من أي وقت مضى ، أطف حتى من الأمس . وعوض أن تسأله عن صحة الأصدقاء ، سأله عن صحته .

لم تطل المحادثة كثيرا ، أو خيل اليها ذلك . وبحيث في خلدها عن شيء تستدرجه أكثر . لكن الكلام خائفا . وحيث مغادرته المكان قبل مجيء أمها ، فيلتقون ثلاثتهم ، ولا تحصل منه على موعد ، وكأنه تجاهل كل شيء هذه المرة فلم ينبس بكلمة عند خروجه ووجدت نفسها تسأله :

— لماذا لا تأتي غدا ؟ ؟
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

— سأحاول !

قال ذلك وكأنه لم يقل ! فلقد ذاب أسبوع بآماله الحاوية وأحلامه الذاتية ، وخيباته المنهشة ، الى أن غادرت المصححة ورجعت الى الجامعة لاستئناف أعمالها . وسألت عنه فقيل لها : إنه التحق بقريته ، فأحسست أنه حقا بعيد ، وازداد شوقها اليه ، ثم وقفت مع ثلثة من الأصدقاء مختلفين في رأي « متى أحب الانسان بدون عذاب ؟ وهل بإمكانه ذلك ؟ » .

واندهش الجميع عندما انضمت أنيسة الى الجماعة المعارضين (أجل ! الحب سعادة وشقاء ، لا وجود للأول بدون الآخر !) .

فبدت لها تفاحة الحياة . وارتأت أن الدنيا تسير بسرعة ، معرضة بوجهها عنها ، فولجت عتبة البيت ، وحدثت في أمها فإذا بها غريبة عنها .

يا للمرارة ! وساعدها الصمت المطبق على الشـرود والتحليق بعيدا على جناح
خيالها ... وانقضت الليلة كما شامت الأقدار . واستيقظت في الصباح الباكر
وعكفت على حديد النافذة كالعادة في كل صباح فبدت لها المدينة الذائبة
تتراقص تحت ضباب خفيف . ضغطت قلبها حسرة لا توصف . وأحست
بمرارة تعمر كل كيائها إذ جثت أمامها حياتها الماضية وثلاجة أيامها . وحدثت
أيضا في المرارة وتفرست في عينيها فاذا بهما مكمّن سر عميق لم يسبق لها أن
حملته . ثم أصاحت الى صوت قلبها فاذا به يصرخ عاليا :

إلاهي ما أفقرني الى رحمتك ! ما أقسى بعض الظروف التي نمر بها ...
ساعدني ، يا رب ، على نسيانه والزهد فيه ! كلا بل خذ يدي وأوصلني اليه !!!

وشبت في نفسها رغبة جامحة للكتابة ، فلم تعص سلطان قلبها وكتبت
تقول : « إن بعض الدقائق لا تنسى ! لقد افتقدتك البارحة كما استيقظت في
الليل . وظللت أعاني إحساسا بالتفاهة ... » وانتهت فجر اليوم فخيّل الى
أننى اعيش فى سراب !

صديقي العزيز ... إننى حقا من يخافون الأشياء ويرغبون فيها ! ... »
ثم أطبقت الظرف على الورقة بعد أن أعادت القراءة ما كتبت . واستبدلت كلمة
صديقتك ، بحبيبتك المخلصة . وهزلت تنزل الدرج لتودعه صندوق البريد .

وفجأة ، عندما صعدت السلم ، مدت يدها الى انفها ، فلم تجده . وبحث
عنه فلم تدركه ، ولم تتأسف على ضياعه ! !

جلیسة المهري



بقلم : جلول عزونة

الشوارع مقفرة أو تكاد إلا من أشباح تتسلل من بعيد ، تسير المباني العالية، تنحني، وكأنها محملة بأثقال غير مرئية... تبتلعها المنعطفات بسرعة .

تغيب الأشباح ، ولكنها تترك مكانها سرايا يتراقص فيخيل إليك أنك مازلت تراها .

أجسام واجفة مرعبة تظهر من هذا الشارع أو ذاك ، ولكنها سرعان ما تنقلب على أعقابها ... عشرات من الهياكل العظيمة لا يغطيها إلا جلد واه مسود ، تراها وكأنها توشك أن يصطدم بعضها ببعض ، ولكن الريح تدفعها فتدور حول نفسها وتغيب .

صاحبنا شبح من الأشباح ، يشعر بأثقال ، ولكنه يحس بأشياء تدفعه ، فهو يسرع في خطاه ، ولا يدري لماذا كان يسرع .

الموسيقى تحفه من كل جانب ... يخيّل إليه أن هذه الموسيقى الهادئة هي التي تقود خطاه وتدفعه ، ولكن تدفعه إلى أين ؟

كان يجب أن تستدرجه هذه الموسيقى الهادئة عوض أن تدفعه . لقد تركها منذ حين في بيته ، حيث الدفء والهدوء . ترك الموسيقى ودفء البيت إلى حيث الريح تهب لوافح ، إلى حيث المطر يتساقط رذاذا .

ما كان ليفادر لذة الموسيقى لولا تلك الحمراء ... الحمراء البلورية بلعماها وزفتها وأحلامها ... لن يحلم الليلة .

لن يحلم ؟ وكيف يستطيع ذلك ؟

الخمرة تترقرق شغافة فى حلقه .. شفتاه تتلمظان .. عيناه تبرقان ..

ويده تداعبان شعرها ! شعر هذه الفتاة الوادعة المترنمة بهذه الأنغام
الهادئة الرتيبة .. هى كالطفلة تماما ، وقد جلست على ركبتيه ، تشربه من
الخمرة ما شامت ، ويداعبها ما شاء .. لكن الموسيقى ستظل هادئة رتيبة
دائما ؟ والفراش لن يفارقه برده إلا حيناً من الدهر .

– هل تعلم ؟ أنا لست ضروريا عندها ، دورى محدود : مداعبة شعرها
وبطنها وشرب خمورتها .. وأى دور ؟ أى كان يستطيع هذا .. إنما يستطيع
أن تعوضنى ...

* * *

هذه أخرى جالسة قبالة .. بوردتها الحمراء ، وقد رشقتها على صدرها
بمهارة ...

نظراتها تكاد تلتهمه .. هى له .. لم تخف لحظة واحدة إعجابها به ..
قالت له :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– انى أجبك ...

ومضت تقص عليه حياتها بكل تفاصيلها . لقد شعرت بإطمئنان كبير اليه ،
وعاملته وكأنهما عاشقان قديمان .. كانت تنتظر أحدا ينسبها شقاءها ..
يذكرها شبابها ، لذلك كانت تبحث دائما عن صداقة الشباب ، ورأته ...
فاستدعته الى مائدتها .

كل شئ فيه أعجبها : لباسه الأسود .. قميصه الأبيض .. حبه للآدب
الرومنطيقى ...

ومضت مندفعة تشتم بنات اليوم : ذوقهن الأخرق ، اجسامهن المسلوكة ..
ومضت تشرب ..
ومضت تكثر من طلاء شفتيها .

وشرب الأبيض والاحمر .. وأكل وتشهى .. كانت تدفع وتدفع ..
وكان يبتسم يناجى .

كل ما فيها له لمعان : الشراب وأسنانها ، عيناها وطلاء شفقتها ..
ضحكاتها وحركات يديها بخواتمها العديدة .. كل شيء ... الا ابتسامته ،
فقد كانت صفراء .. ومضى الليل .. وبدأ دوار رأسه .. وأخيرا ، وقد
شبع وروى ، اشترى لها الوردة الحمراء ، فأحكمت وضعها على صدرها .

تعلل بقضاء حاجة ... وخرج يتنشق الهواء الصافى ...
لا يدرى أيجب حقا مصاحبة هذا النوع من النساء ؟

* * *

ما كان ليفادر الليلة لذة الموسيقى لولا تلك القارورة الحمراء القابعة
مع صاحباتها البيضاء فى ركن من أركان بيته ...

ترك بيته ، وترك الحمراء
عجبا !

ترك : ذلك ، لانه يريد أن يغنى ، لانه يخاف أن يدخل فراشه البارد ...

كان يجد هناك وراء سلسلة الجبال ، وراء البحار نفس الفراش البارد ..
ولكنه كان يجد أمه تنتظر عودته الى ساعة متأخرة من الليل لتلقى عليه درسا
فى الاتزان والاخلاق . ولكنها سرعان ما تسكت ، لانه يغنى لها : فتسمع
غنائه الى أن ينسام ...

ترك البيت اذن ... وترك قارورة الخمر الحمراء ليغنى فى الشوارع
المقفرة ، ليبحث عن امرأة يشتري لها هو وردة حمراء .. وتشبعه هي شرابا
وماكلا .. لان هدية عيد الميلاد يجب أن تكون كما يتصورها ..

« القصيد الذى ابتدأته أوشك أن ينتهى .. ولكنى عزمتم أن لا أنهيه
وأنا صاح .. أريده صادرا عن أعماقى ، أريده صادقا ، متحررا من قيود
المجتمع وأخلاقه .

حفلة عيد الميلاد غدا ...

كل شيء قد هبط : المأكّل .. المشرب .. الموسيقى اللباس .. أصدقائي
اشتروا الدجاج الرومي .. وأنا اشتريت الشراب ..

وسنتبادل الهدايا كذلك . انى أعلم أن هديتهم ستكون ثمينة . أما أنا فلا
أستطيع أن أهدي لهم شيئا لانى مفلس .. ولكن هديتى ستكون هذا القصيد
الثائر ، هذا القصيد الذى لم أنته منه بعد .. خاتمته يجب أن تكون قوية
كقوة موسيقى فافتر .. شفافة كسماء بلادى .. عميقة عمق عين سوداء
تحب . ولن أستطيع خلق هذا الخلق وأنا صاح .. لابد أن أكون ثملا
بالحب .. والموسيقى .. والخمر .. لابد أن أكون ثملا الليلة ..
هذه ضرورة ...

- قلت له ، وقد أطرق يفكر :

- اشرب احدى القارورات الاربع التى ستحملها غدا .. اتمم قصيدك ..
ومن الغد تدبر أمر المال .. وعوض ما شربت .

ARCHIVE

أجاب وهو يصيح :
- لا .. لن أستطيع أن أكف عن الشراب .. فإذا ابتدأت فلا بد أن أتى
على الاربع .. وقد لا يأتى الوحى .

* * *

خرج هارباً من مصاحبة الحمراء وصديقاتها ...

خرج اذن ، وقد مضى من الليل نصفه شبحاً من الاشباح ، وخرجت معه
شبحاً من الاشباح ايضا . تلقفتنا شوارع باريس الحسالية ، ونحن قاصدان
بعض الاحياء التى لا تنام مقاهيها .

لقد تعود - اذا أفلس - أن يبحث عن بعض النساء ، عن نوع من النساء ..
يحاذئهن ، يلون لهن سراب الحياة بلون الحياة : يجدن فيه أنسا ومتعة وقوة
ويجد منهن ما يدفىء بطنه ويملاها ، وما يشعل رأسه ويلهبه ...

خرج ، وخرجت .

خرج فارغ الحبيب ، يبحث كيف يملأ بطنه • وخسرت فارغ الحبيب
لارى كيف يملأ بطنه ...

* * *

- هيا لنعد ... لم اعد أستطيع أن أتقدم ، معدتى خاوية ..
ورجعنا ..

لقد اعترضه ذلك الرجل .. كانت بشرته حمراء لامعة .. وكانت أنفاسه
مخمسة ...

لقد أراه أوراقا نقدية .. ولقد استدعاه .. ولكنه تركه ... ولقد وجد
تلك المرأة التى اشترى لها يوما وردة حمراء دفعت ثمنها هي ... ولقد أراد
اعادة التمثيلية معها .. ولكنها انقلبت ككل النساء .. فلم تعد تحب
الرومنطيقيين ، واللباس الاسود ، والقمصان البيضاء .. لقد عرفت أنه
يفتنم كرمها لا أكثر ولا أقل ... لقد ذهبت آخر الامر مع زنجي رأت عضلاته
المفتولة ، وهو يلقي خصما له على الارض .. كان الزنجي ثملا .. وسيتنفس
الليلة أحمر شفاهها ، ولن تتجشم حتى مشتقة من بطنه ، لأنها ملانة ..

لقد اعترضه ذلك الرجل فتركه ..
ولقد حاول اصطحاب تلك المرأة فتركته ، فلعن وشتم :
- الانسان • حيوان • لا شيء غير الغرائر ..

* * *

الكلاب نومت ، والقطط كذلك الا اثنين يتناجيان تحت أحد صناديق
الفضلات .. كل شيء هادئ ، نسمع وقع خطواتنا التى بدأت تسرع ..
كل شيء قد اضمحل من الوجود الا الآم معدته • لقد كان جائعا ، لقد
بدا يسمع بعض الانغام تتصاعد من معدته ...

اعترضتنا أخيرا عجوز وعجوز .. وفتاة • قال للاولى :
- هل عندك ما يؤكل ؟

جحظت عينها : كتمت صرخة بين شفطيهما : أحكمت حافظة نقودها تحت
ابطها وأسرعت تلتفت للوراء غير مصدقة بنجاتها ..

وقالت الثانية قبل أن يبادرها صاحبنا بالسؤال :

– هل عندكما بعض الدراهم ؟ ..

اما الفتاة فقد احكمت وضع يديها على نهديها وغابت مع أول منعرج ..

* * *

ومضى .. ومضيت كأبطال الروايات نقطع باريس في الليل .. قلوبنا
مثقلة ، بطوننا خاوية .. أحلامنا محطمة ..

الموسيقى تحفنا من كل جانب .. الموسيقى تتأجج ، تنور بعد أن كانت
هادئة ، ويخيل إلينا ان هذه الموسيقى هي التي تقود خطانا وتدفعنا ..
ولكن تدفعنا الى أين ؟



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

لا بد أن نشبع الليلة ..

وصاح صاحبي :

– انظري .. الا ترى لنا ؟

وحملنا صناديق اللبن الشهي .. لقد وضعها بائع الجملة مع تباشير
الصباح امام دكان التاجر وشرب حتى روى .

وشربت كذلك ..

وضحك

وضحكت كذلك ..

وقال :

– ألم أقل لك : لا بد أن نشبع الليلة ..

وازدادت الموسيقى تأججا .. وحركة .. وازدادت سرعتنا ...

ومن بعيد لاح لنا بيته ..

قال :

– لابد أن أحلم الليلة كذلك .. ان ليلة عيد ميلاد كانت بلا ثلج ..
وستكون مأدبة عيد الميلاد غدا بلا شراب كذلك .

* * *

ورجع لبيته . رجع لتلك القارورة الحمراء ، رجع أيضا لصاحباتها البيضاء
القابعة معها في ركن من أركان البيت ... رجع لكل ذلك لكي يتم قصيده ،
لكي تكون الهدية لائقة .

كتب فيما كتب :

« الافسق مضطرب غامض

والسماء وحيدة ، تشعر بمرارة

والثلج .. انقلب لبنا ... »

وأحس بتعب كبير فنام حيث كان ، دون أن ينهي القصيد .



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

جلول عزونه

الشيخ مسعود

بقلم : يحيى محمد

عند ما تهرول الشمس الى مخدعها ، ويودع الناس الضجيج والحركة ، يعود الشيخ مسعود الى الزقاق ، الى حجرة قابعة في الظلام ، لينام وينقطع عما يدور في الشارع . وتضمه وحشة البيت ، فيحملك باستغراب في آلة العود التي وضعها على الطاولة بعد أن انهكه التعب وأخذ منه ماخذا عظيما ، وتفرق عيناه في صورة شيخه ومعلمه صالح الشرقاوى الذى علمه الفن ، فيبتسم ابتسامة تبدو كامتعاضة فى الضوء الباهت الذى يرسله المصباح الوحيد فى الغرفة .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

ويتكاثف احساسه بالعزف ، فيمسك العود ويجرب أوتاره ويبدأ فى قتل الوحشة الملمة به ، وتجول فى خاطره أغنية يضع كلماتها فى دقائق معدودات :

« .. زمانك ، يا عيشه ، مر
طعمه فى فمى ما لسه
محروم ، قلبى تقهر
باليت تكسر ، ونعظه ..! »

وتفنن فى لمس الاوتار كالملتاع . وأعاد النحن الذى راق له . وشعر بشيء يدفعه الى المزيد من العزف كأحسن علاج لما فى نفسه من أهات . وبعد برهة من الوقت غلبه النعاس ، فنام على نغمات الرمان المر ، وخرج شخير مرعبا ، ساخطا ، مبددا صمت الليل ووحشته .

كان السكون هانكا ستار نفسه ، ظلام دامس في آخر الزقاق ، برد منتصف الشتاء يلسع وجهه ، وعواء قط يبحث عن الدفء بجانب الشيوخ وهو يغط في نومه ، انه كتلة بشرية ضخمة ، بطن كالبرميل ، صدر متكور ، وجه منتفخ ، رأس كبير ، أنف كأنف البغل ، يلهث في شخيرته ، وكأنه يقطع أشواطاً في العدو .

بيته الصغير في اخر نهج « باب سعدون » • بلور نافذته عشتش الذباب بأطرافه ، راديو تلاشي نصفه ، وبقي النصف الآخر فوق طاولة متهاكة ، نبذها الزمن وأخنى عليها في زاوية الحجرة المثلثة الشكل ، ويأتى الفجر فتدب في أوصاله همسات الصباح ، فينهض في غير انتظام :

- يا فتاح ، يا رزاق !

ثم يزيد ، بعد أن يحدق من بلور النافذة :

- الشمس تضحك ، والسماء تلالاً ٠٠!

وتستهويه القهوة ، فيغدق جناحه الشرقي الطاريف • انه اختصاصي في صنعها ، ويهمهم قائلاً :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قهوة الصباح ، سوده زنتيه

حلوه بنينه ، ومن صنع العلجيه

ويأخذ رشقات متتابعة بنهم متزايد • ثم يرفع بصره نحو صورة الشيخ الشراوى فيتمتم ساخلاً :

- الله يصبرنا على ها الصنعة !

ويتناول العود بعد أن يكون قد ارتدى جلباباً شرقياً أخضر اللون ، وطربوشاً أحمر ، ويستعد لغته مع يوم جديد • واجتاز الزقاق والاحياء القريبة من بطحاء « الحلقاوين » وحده جلاس « قهوة الغربى » بنظرة امتنان وترامت اليه تحياتهم من كل جهة ، فرد في مرح :

- صباحكم بالخير يا جماعة

ونهاركم مبروك ساعة بساعة !
 فصاح أحدهم :
 - يا خليفة هات قهوة لعمك مسعود ..
 - الله ! الله عليك ! يا سهلول ..
 - بلاش مزيه ..
 - الله يهديك ، يا ولد عثمان الديك !
 - آ .. عم مسعود تعرفني منحش ها الكلمة ؟
 - آش فيها ؟ كلمة خفيفة ، وبينة ومليحة .. ياخي أبيق عثمان
 ما يشبهشى الديك ؟
 - صلي على النبي ..
 - اللهم صل وسلم عليه

قدم النادل القهوة إلى الشيخ بحرارة ، وجلس حوله بعض المولعين بفنه ،
 لقد اشتهر عم مسعود بحذقه للفن الشعبي ، قال : إنه طاف بمصر والشام ،
 وبلاد الأندلس ، واستقر في النهاية ببلاد أبيه وجده .. تونس الخضراء ..
 ولم يكن يتوقع أن يكون محل حقاوة بالغة حيثما تنقل ، بين مقاهي
 « الأندلس » و (العنق) و (العباسية) .

واهتز الفنان مع لمساته الرقيقة على الأوتار الرتبية ، وصاح بصوت
 رخيم يردد :

« .. حب الغزال ضايمنى
 ما صعب علي فراقه
 والحاسد ما يعذرني
 مجنون فقد صوابه .. »

فيقاطعه صوت اجش :

- الله .. الله ! .. زيدنا يا شيخ ..

فرفع بصره الذابل ، ثم انحنى بظهره على « العود » وأخذ يشنف
 الاسماع :

« .. حب الغزال في ربي
عشقي الجمال من طبعي
يا حاسدي تبعتني
بسيوف الهوى شطرنى »
ويخفف عنه بعض المتيمين بفنه فيهمس في دعة :
- كاسك برد ، يا عم مسعود ..
بينما يتساءل الشيخ في غرابة :
- آه .. هذه قهوتي ؟

وتجمع حول الطاولة بعض المارة ، وهم يسبون قفافهم بأيديهم ، بعد أن تركهم الشيخ كالمشبهوهين ، يضحكون ، ويمرحون للفن ، وهم عن شؤونهم غافلون .. بالأمس استغنت عنه قهوة (الحاج) بما وفرته للحرفاء من اسطوانات العفريت ، وسيد درويش ، وأغاريد حبيبه مسيكة ..

(.. الرزق على الله .. الناس في أيامنا هذه لا يريدون الفن من فم الفنان وهو يعرض بضاعته عليهم في الشوارع ، دون التجاء الى الراديو ..)
واكفهر وجه الشيخ . لقد أنشد الكثير ، وطبقه فارغ .. (لفنة كريمة من أولاد الحلال) ! .. وأحس بشظف العيش وسكت متنهدا ، ثم ابتسم لرنة قطعة من النقود على الطبق الأبيض :

- الفلوس تغيب وتحضر .. !
ومسح على كرشه وقال :
- عندي غنايا جديدة .. طالعها « باب سويقه يا مباحها ! »

وتحدث عم مسعود عن الأغنية الطريفة ، لكنه أحجم عن ذكرها ، أو إيقاع الناجن من رنات العود ، وغمغم في النهاية :

- حظها مائة قرنك .. !
فرد عليه شاب بصوته الرقيق :
- ها هي بين يديك ..

فابتهج الشيخ ، وضحك حتى انقلب وجهه « طمطومة » فى إبانها ،
ولس أوتار عوده ، وحرك لواعجه وشجونه وقال بحرارة :

« .. باب سويقه يا مبهاها
شوايه ، وحوانت برشه
وقهاوى ، وحضب وعركه
صحيفه صحلپ ، كعبه مخارق
وقطائف من شيخ البركه .
باب سويقه يا مبهاها »

فضحك الجميع ، والحوأ عليه أن يزيدهم من نفسه ؛ فصمت فجأة ،
وأطلق نظرات ساخرة ، وهز رأسه أسفا وفى نبوات حزينة قال :

– المال قوام الاعمال .
خك اجنابك يا سى معمر !
فأجابہ رجل متسائلا :
– صنعت اللى ما عنيدو صنعتہ !
http://Archivebeta:ورد باحتفاز
– صنعتى تشرفك وتعرفك .
والتفت إليه رجل قصير القامة ، عزيل الجسم :
– كلامك صحيح ، ما أحلى الراجل كى يعود فصيح .
زيدنا شويه من غناك المليخ .
– أنت شاعر ؟
– وفى القول ساحر .
– وفى الغنا والطرب ؟
– آه .. الحق معاك ، هنا جاهل !
فتهلزل وجه مسعود ، واستدرك غاضبا :
– والله ما تكمل الغنايه ...

فصاح الجمع الملتف حوله ، وهاج أحدهم ، وكان اللعاب يسيل من فمه ،
ونطق فى لثغة أضحكت الحاضرين :

- بغبي كملها ..
- اشنيه اللي انكملها ؟
- باب سويقه ..

وحدث الشيخ في الكمية ، فألفاها لا تفي بحاجته .. فطور عند الشواي،
وقهوتين ، وكاس تاي ، وعشاء عند الكفتاجي .. لا .. لا .. هذا قليل
مما يوجد به جلاس قهوة « الحاج » !

- العملية ما زالت ..
- رد أحدهم :
- الله يفكنا م العملية يا شيخ ..
- ما زال نصيب القطوسة !..

وأردف الرجل الهزيل ، بقطعة من النقود اتسم لها الشيخ وراح يعدل
عوده ، ويتنهد . وقال متظاهرا بالاذعان لطلبات محبيه :

ARCHIVE
- على خاطر كرم تكمل اليقيه
.. يا محلي سلطان المدينة
<http://Archivebeta.Sakhrji.com>
القبة البيضاء ، تصوى علينا ..
فهوه حلووه ، يا مبهاها
القعدة فيها ما ننساها
شيشه ، وحشيشه ، وفهيوه
وحكايات الشيخ فضيله ..!
باب سويقه ، وباب بنات
سيدي محرز بين يدينا ...

وجذب الشيخ نفسا طويلا ، ونهض من فوق الكرسي ، نافثا في الفضاء
دخان سيقارته . وأغمض عينيه متلذذا . ثم فتحهما وهو يردد :

- يا سلطان المدينة . فردها علينا ! ..
* * *

التهب وجهه احمرارا ، وهو يدخل دكان « الصحلبي » ؛ فلاح له صاحبه

مرحاً نشيطاً • وأخذ صحيفة تلتها ثانية فتألته بها قليل من الهريسة الحلوة المحشوة باللوز والبندق ، واكتض الدكان بالحرفاء :

- الرابعة يا خويا •• نجبها سخونة •
فرمقه « الصحلبيجي » بنظرة فاحصة ، وتمتم :
- ربي يزيدك ! ••
وههم ثانية :

- مسكين مفروم بكرشو ••• !
ثم صاح بأعلى صوته :
- الفطور رباح !

استراح الشيخ مسعود قليلاً ، وأكل في نهم متزايد ، ثم نهض ونقد صاحب الدكان ، بينما مكث هذا الأخير يتابعه بعينيه •• إنه أكل ••
ليته يأتي كل يوم •• !

وعرج على نهج الكبدية ، ووصل بطحاء باب سوقه متجهاً نحو حانوت الشواي ، وتذكر الكبدية التي أكلها أمس ، ورائحتها التي ضربته في أنفه ، فسأل لعابه ، وحث خطاه •• دخل الحانوت ، وغمغم من حيث لا يدري :

- ما أحلى كبدتك المشوية يا حاج •• !
فرد صاحب المحل وهو يضحك :
- أما قلبك ، يا شيخ ، أحلى منها •• !
وزاد في الضحك ، فانفلت الشيخ يداعب الحرفاء العديدين :
- الكبدية المشوية ما لدها كي تكون طرية !
وأضاف ، وقد أغرق في ضحك لا ينقطع :
- كبدت الحاج يا جماعة • سمينية كي جربوع الخلاعة فشار أحدهم ، وهو يلوك بأضراسه :

- لطف عباراتك يا شيخ ••
فهاج صاحب الدكان وماج :
- اشنوه ، يا شيخ •• ؟ يا اخي تحب تهرب على الاكليون ؟
- باهي يا سيدي •• سامحنى عاد ؟

وصاح الشواى فى وجه خديمه :
- وربى فددتنى • ما اخيب وجهك كيف وجه القرد • انهض شويه • •
اتبسم • • !

فحرك الشيخ مسعود شديقه :
- القرد يا حاج فى جنيئة بنت الرى موش فى حانوتك !
ثم لاذ بالصمت ، وقد لاح الارتباك على وجهه ، وأرسل نظرة بلهاء هنا
وهناك ، وتذكر عوده ، لقد نسيه فى دكان « الصحليجى » فرجع مسرعا ،
بينما صاح الحاج قائلا :

- وين ماشى يا شيخ • • صحنك احضر • • ؟
واضطربت عواطفه ، ووجد صعوبة فى امتلاك عنانه ، العود ! وما أدراك
ما العود • • ! العود مصدر نعمته ، ومحط سعادته ، وامتزج الغضب فى
نفسه (• • لقد تهشم • •) • والتفت صاحب الدكان مندهشا :

- طاح وحدوم المرفع • •
واضطرب الفنان ، وغارت عيناه ، وضرب الأرض بقدميه • وصاح :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

- ما اشوم حانوتك • •

- على مراد الله • الله يخلفلك ! •

- على مراد الله ؟ هات حقو بلا بلاده • • !

- تاخو الغرامة يا شيخ فى عقاب عمرك ؟

- أما غرامه ؟

- ايعاد هزو للجميل توه يصلحو • •

- دبر على روحك • •

- وانت اشكلون قالك تنسأه فوق المرفع ؟

فانفعل الشيخ ، وجمع بقايا العود المبعثرة فى الدكان ، ونزلت دمعته
فراق على خده • • • ايعيش عيشة الكفاف ؟ هل مات مصدر إلهامه ؟ اصلاحه
بخمسمائة فرنك • • من أين له بهذا المبلغ ؟

وخفق قلبه بعنف ، ولاح الانزعاج فى وجهه ، وفغرفوه ، واقترب من
العود المهشم ، وطال به الصمت الثقيل ، حتى حواه الزقاق الأسود ، فدخل
بيته ، كاسر البال ، مفلول اليدين ، يحوم فى فراغه المهول • • •

يحيى محمد

فن الرواية

بحث

بقلم: أندري موروا

تعريب: عز الدين المدني

- : مجموعة قصص ! آه ! إنك تخرجني يا عزيزي ! لقد قررت ألا أنشر
اية مجموعة قصصية ...



- : ولم ؟

ARCHIVE

- : لان القراء يرتحبون عن مطالعتها !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- : ومن يدريك ؟ فالقراء قد طالعوا بشغف قصص « كيلينغ » (1)
و « كاترين مانسفيلد » (2) وهل ثمة أدب أشهر من أقاصيص (3)
« إدغار بو » (4) ؟ ألم تكن « الأنسة فيفي » و « دار تيلي » وهما مجموعتا
قصص السبب الأوفر في شهرة « موباسان » (5) ومجده الأدبي ؟

- (1) قاص وشاعر بريطاني ولد ببمباي سنة 1865 وتوفي سنة 1936 وقد اشتهر « بكتابات
الادغال » و « بكيم » . وينوه أدبه بالهيئة البريطانية على الهند .
- (2) قصاصة من زيلنعة الجديدة ولدت سنة 1888 وتوفيت سنة 1923 .
- (3) في الاصطلاح الفرنسي stCone .
- (4) قاص أمريكي ولد ببوسطن سنة 1809 وتوفي سنة 1849 . اشتهر « بقصصه الغريبة » .
وهو من رواد المذهب « الفانتستيكي » .
- (5) قاص وروائي فرنسي ولد سنة 1850 وتوفي سنة 1893 . كان رائدا في كتابة القصة القصيرة
كما كان أحد زعماء المذهب الواقعي .

- : أمثلتك هذه ليست من أدب عصرنا . فالموضة قد تغيرت . ثم يجب التمييز بين القصص . ذلك أن مجموعة واحدة من قصص « كيبلينغ » و « كاترين مانسفيلد » أو « إدغار بو » لها من وحدة الموضوع تلاؤما أكثر مما يوحي به الفهرس . فـ « أقاصيص الربى البسيطة » « لكيبلينغ » تدور حوادثها كلها في نفس الديكور وفي نفس المجتمع البريطاني الهندي . فهي على شاكلة فصول رواية . تسألني عن « إدغار بو » ؟ و « فيلي دي ليل آدم » (6) أيضا ؟ فالمواضيع المطروقة في قصصه هي غريبة ، وتتسم دوما بالرعب وبضيق النفس . وهذا ما يجعل من قصصه منسجمة المواضيع موحدة رغم انفصالها عن بعضها البعض . وتسألني عن « كاترين مانسفيلد » كذلك ؟ فإن قصصها تبدو مقتطعات من ترجمتها الذاتية ، وأن أسلوبها والجو العام يقيمان الصلة بينها جميعا . ويمكن لنا قد أن يتشبث بفكرة رئيسية أو بجو روي

- : ولماذا لا يكون كذلك بالنسبة لكل مؤلف له ملكة بل نبوغ ؟ فأسلوب « البير كامو » (7) ، وأسلوب « بول موران » (8) وأسلوب « فيليسيان سارسو » (9) وأسلوب « فيرانسواز مالى » (10) تشكل جميعها وحدة موضوعية في مجموعة من القصص . . . هل تفكر ذلك ؟

<http://Archivebeta.Sakhr.it>

- : لا . . . لكن القارىء - ليتعلق بمطالعة قصة - فهو في حاجة الى بعض الانغماس في الزمن . فماذا تطلب امرأة جلست في عربة لتقوم بسفر طويل وقد فتحت كتابا اشترته من مكتبة محطة الأرتال ؟ إنها تود أن تنسى حياتها وأن تدخل في عالم جديد طيلة أربع أو خمس ساعات . لكن كيف لها ان تحقق رغبتها بينما يجب عليها ان تتخلي عن الاهتمام بالشخصيات القصصية في كل مرة بدأت تعنى بها لتتبع شخصيات أخرى .

(6) كاتب فرنسي إرستقراطي ولد سنة 1838 وتوفي سنة 1889 . واشتهر كإدغار بو بقصصه الغريبة المواضيع .

(7) كاتب فرنسي ولد بالجزائر سنة 1913 وتوفي بباريس سنة 1960 صاحب نظرية العبث في الفلسفة الوجودية .

(8) قاص وروائي فرنسي معاصر .

(9) قاص وروائي فرنسي معاصر .

(10) قاصة فرنسية معاصرة .

— : لقد اخترت مثالا أصبح نادرا في يومنا وهو مثال القاريء الذي له وقت طويل للمطالعة . لكن هناك أيضا حالة أخرى معروفة أكثر من ذلك المثال وهي حالة القاريء الذي ليس له من الوقت للمطالعة إلا المسافة القصيرة التي تربط بين منزله ومقر عمله . أو الذي ليس له إلا ساعة واحدة يخصصها للقراءة بعد تناول العشاء . فالقصة هي إذن النوع الأدبي الحقيقي الذي يناسبه . ولهذا السبب تنشر المجلات القصص . وهل تفعل ذلك لو لم يرغب فيها الجمهور ؟

— : فهذا الجمهور يبحث عن القصص في المجلات ؛ لكنه يفضل إيجاد رواية حقيقية في كتاب يحتفظ به .

— : أظن أنك ستكون في حرج كبير لو سألتك أن تحدد لي مفهوم الرواية ومفهوم القصة . ماذا سيكون معيارك ؟ الطول ! لكن الناس ينشرون اليوم روايات قصيرة جدا . فهل هي أقل مستوى من الروايات الطويلة ؟ لقد سمى « ميريمي » (II) (الحُطَا المضاعف) : قصة . أما بالنسبة اليينا فهي رواية قصيرة . وقد اختارتها كذلك لجنة تحكيم أدبية رفيعة كأحدى الروايات الاثنتي عشرة المثلث التي صدرت في القرن التاسع عشر . و « أدولف » (12) فهي رواية الروايات . وهي ليست أطول من إحدى قصص « هنري جامس » (13) و « الأنسة فيفي » قد تحظى اليوم بجائزة غولكنور (14) . فهل تكلف نفسك بإقامة خط التقسيم بين هذين النوعين في إنتاج « تشيكوف » (15) ؟ فرواياته القصيرة تقدر بمائة صفحة ، أما قصصه الطويلة فتبلغ الستين . فأين تضع الحدود إذن ؟

-
- (11) قاص بارع جدا . ولد سنة 1803 وتوفي سنة 1870 بباريس . له قصص مشهورة منها « كازمين » و « كوليا » . وكان الإيجاز يغلب على أسلوبه .
(12) أشهر وأحسن الروايات الفرنسية في القرن التاسع عشر وصاحبها هو بنيامين كونستون . وقد صدرت بباريس سنة 1816 . وما زالت تعد من روائع الروايات الفرنسية بل الأوروبية .
(13) كاتب أمريكي أخو الفيلسوف ويليام جامس . ولد بنيويورك سنة 1843 وتوفي سنة 1916 . وعاش كثيرا بلندن ثم تجسس بالجنسية البريطانية .
(14) أشهر جائزة أدبية فرنسية .
(15) كاتب قصصى ومسرحي روسي ولد سنة 1860 وتوفي سنة 1904 .

- : ولماذا تريد أن يكون الطول معيارى ؟ أقول بالأحرى ، إن القصة هي حكاية (16) موضوعها حادثة أو مشهد أو انقلاب مفاجئ . لموقف ما . أما الرواية فهي تبين خلال مشاهد متعاقبة ومواقف مختلفة العمل والتطور لبعض الطباع . ولنضرب مثلين شاذين : أولهما انه لا يمكن التفكير في أن تسمى رواية « بروسست » (17) قصة ، كما انه لا يمكن ان تنعت إحدى أقاصيص « موباسان » (18) رواية .

- : هذان المثالان لا يدلان على شيء ؛ لانهما شاذان . وكيف تصف « الشيخ والبحر » « لهيمنغواى » (19) أرواية أم قصة ؟

- : أصفها قصة بدون تردد . فهي تروى مغامرة واحدة مقسمة في الزمان بصفة اعتباطية .

- : ولماذا بصفة اعتباطية ؟ وكيف ترى إذن « الاعصار » « لكونراد » (20) ؟ فهناك عاصفة واحدة ورجل واحد . ومع ذلك فان الناس يجمعون على أن هذا الكتاب رواية .

- : الصراع متواصل في « الاعصار » والمغامرات متعددة .
<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

- : إذن فهمتك جيدا فان قانون الوحدات الثلاث يمكن أن يستعمل في النقص كما هو في المأساة الكلاسيكية (21) .

- : لا أقول هذا ... فوحدة المكان ليست ضرورية ، وغالبا ما تنقسم وحدة الزمان ببداية او بنهاية حيث تبرز على أمد طويل نتائج الحادثة التي تشكل موضوع القصة . ومثال ذلك « المرأة المهملة » « لبلزاك » .

(16) في الاصطلاح الفرنسي Récit .

(17) بروسست أكبر كاتب فرنسي معاصر ، وعنوان روايته « في البحث عن الزمان الضائع » . وهو من مجدى الرواية في الأدب الفرنسي وهو يضارع جامس جويس وفيرنيس كافكا وروبرت موزيل .

(18) انظر ملحوظة رقم (5) .

(19) روائي وقصاص أمريكي ولد بشيكاغو سنة 1893 . مات منتحرا .

(20) قاص وروائي ولد بأكرانيا سنة 1857 وتوفي 1924 .

(21) وهي وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع .

- : ورغم ذلك ألا تقبل أن تجعلها ضمن الروايات القصيرة ؟ !

- : لا أقبل ذلك لان محور القصة أى موضوعها الأساسى هو حركة وحيدة (.....)

- : ألا تظن أنه يمكن جعل « المرأة المهملة » رواية عندما يملط القسم الثانى منها .

- : لا شك فى ذلك . لكن المشهد الذى هو عند « بلزك » محور القصة لن يكون حينئذ إلا فصلا من بين فصول عديدة أخرى . فتتغير الأوضاع وينقص حظ هذا العمل .

- : فهل تقبل إذن أن القصة ليست نوعا أدبيا ثانويا .

- : إننى لم أقل أبدا : إنها نوع أدبى ثانوى . بل إنها نوع مختلف . إذا أردت معرفة رأى فانى أوكد لك انها أقرب الى المسرح منها الى الرواية وعلى شاكلة المسرحية ، فهى فى حاجة الى هيكل متين ، وإلى نهاية حاذقة ؛ وباختصار الى « سقوط الستار » . وهكذا ترى كيف أن القاصين الإيطاليين مثل « بوكاتشى » و « بانديللو » قد مدوا المؤلفين المسرحيين بالمواضيع .
- ومهما تكن القصة بعيدة عن الرواية ، قريبة من المسرحية أو مزيجا بينهما فهي عمل فنى بدون شك .

- : أرى أن هنالك حظوظا لايجاد قصة جيدة أكثر من العشور على رواية خالية من العيوب . فالإبعاد المحدودة والبساطة النسبية للموضوع القصصى تمكن جميعها القاص من « صوغ » عمله الى حد التفانى ، هذا العمل الذى لا يمكن للروائى أن يبلغ مستواه إلا نادرا ...

- : والذى ربما لا ينبغى أن يصل اليه . لكنى اعترف لك بأننى لم أعد أفهم شيئا . إنك تقبل أن ثمة قصصا جيدة أوفر من وجود روايات متكاملة ، ومع ذلك فانك تتردد فى نشر المجموعات القصصية .

- : إني ناشر ، ولست بالذى يتكرم بالمال على الكتاب • إن الجودة يعترف بها فيما بعد • أما مجازفتى المالية فهي فى الحال •
- : إن مجازفتك هذه تبدو لى خيالية •
- : أجل • سوف أنشر قصصك • وسوف نرى •
- : سوف لا ترى فيها شيئا •
- : حسنا • هذا ما أخصاه •

ملاحظة : عربنا هذا الفصل من كتاب « محاورات الاحياء » (Dialogues des Vivants) لاندري موروا (André MAUROIS) الكاتب الفرنسى الشهير . وقد صدر هذا الكتاب عن مكتبة « أرثيم فايارد » (Arthème FAYARD) بباريس سنة 1959 وجاء هذا الفصل بعنوان بالفرنسية (Nouvelles et Romans)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>